Journal Of the Iraqia University (73-10) August (2025)

ISSN(Print): 1813-4521 OnLine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.mabdaa.edu.iq

إرشادات وتوجيهات الشيخ محمد مظهر البدليسي– رحمه الله- لمورديدهِ في المكتوبين دراسة سلوكية

ياسين خالد إسماعيل طالب ماجستير في كلية العلوم الإسلامية قسم أصول الدين

المشرف: أ.م.د. قاسم حسن غفور

الأستاذ في جامعة صلاح الدين كلية العلوم الإسلامية قسم أصول الدين.

الملخص

فان (إرشادات وتوجيهات الشيخ محمد مظهر البدليسي– رحمه الله– لموريديهِ في المكتوبين دراسة سلوكية) مكتوبات عظيمة النفع جليل الفائدة، وفي طراز ونوعية خاصة، جمع فيها مؤلفها دررا من الفوائد التي سنحت بخاطره في شتى العلوم الشرعية لاسيما العلوم المتعلقة بالدار الاخرة، ولان ما في هذا المكتوبات بحث نفسي يتميز بصدق الفكر وحسن البيان ويهتم بجميع النواحي الاجتماعية، وكأن صاحب المكتوبات في مرصد فلم يدع مرضا وعلة في المجتمع الا نددها وانكرها وبين اضرارها ووضع حلولها، ففي هذا الكتاب ارقى انموذج من الحياة السليمة والتدين الصادقة فهو يضع الحل الامثل لكل علة اصابت المسلمين ،يذكر كيف تستحكم عقلك ؟ وكيف تتعامل مع الناس؟ ويذكر احوال المتصوفين، ويبين ما عليه جهال المتصوفة من الخطأ، وهكذا.

المقدمة

الحمد لله وكفى، والذي أرشد عباده إلى أجمل طاعةٍ، وأحسنِ أعمالِ الصالحةٍ ووفى، الهادي من تمسك بأوامرهِ، وهجر معاصيهِ ونهى، وبذل جُهدهُ في سبيلِ إرضاءِ الله تعالى، والشكر لِنعمهِ المرتضى، وصلاة والسلام على خير خلقه المصطفى، المبعوث رحمة للعالمينَ وآله وصحبه أجمعينَ كلَها ومن صار على نَهجهم وتَبِعَ سُنَنَهُمْ وقتدى بهديهم ونجى. اما بعد:فان دراسة المخطوطات لها مزيتها الخاصة من بين جميع العلوم الاخرى، اذ الانسان كلما قرأ عنها او قرأ عن موضوع منها او كتب فيها يريد بطبيعته ان يقرأ ويكتب، ويتعمق فيها اكثر وتسبب القراءة عنها الى فتح فكر الانسان وذهنه، فإن من طمأنينة الحياة للقلوب، ووجود نعيمهِ، لايحُصلُ إلا بمعرفة ربها، وعبادتها على أتم التقدير ومُنزهٍ عن كلِ إثمٍ، والغنيمة من كل بِرٍ، والنجاة من النار والفوز بالجنة والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى لا يتكون إلا بمعرفة العقيدة الصحيحة، لابد أن يكون له مصدرُ، ولاشكَ أن مصادر العقيدة الإسلامية هما: كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، إلى جانب ذلك هناك كثيرٌ من العلماء فقد حالوا أن يفهم من هذين المصدرين بطرقٍ ووسائلَ شتى، ولذا الكتابة والبحث والنظر إلي أقوالهما وتأليفاتهما، وآراءهما، و مبادءهما، يؤدي المسلم إلى إخلاصِ النية، والتقربِ أكثر إلى الله تعالى، والنجاحَ والفلاحَ بالدنيا والآخرة، من أجلِ ذلك حاولتُ أن أكتب شيئاً قليلاً عن مكتابات أحد العلماء القدماء، وهو ((إرشادات وتوجيهات الشيخ محمد مظهر البدليسي– رحمه الله– لموريديهِ في المكتوبين / دراسة سلوكية)) لإجلِ الإستفادة منها، في حياتنا العلمي والعملي. ولأكون على علم بهذا الموضوع المهم، والمناهج التي إتبعها العلماء المتخصصين للمخطوطات، وأن أتعلم الآراء والاختلافات والشكوك التي خُلِقَت بين المذاهب وفرقٍ كلامية. ولا شيء يصل الانسان اليه بسهولة، فإن من طلب العلا سهر الليالي، واني كباحث في هذا الموضوع قد واجهت الكثير من الصعوبات حتى قرأت عن هذا الموضوع ثم جمعت المعلومات وكتبت فيه، لإعطاء معلومةٍ للقاريء عندما ينظر إلى هذه البحث، ليكون على إطلاع معلومة أولوية لهذا الموضوع.ومشكلة البحث هي: قلة المصادر عندي، وعدم الحصول على كل معلوماتِ الموجودة، والمطبوعة، وأيضاً هناك عدد كبير من العلماء، قد تحدثوا في هذه المجال، وكتبوا آراءهم فيه، لذا لم أستطع أن أطلع على كل المعلومات، وأن أحصل على معنى المراد، وأن أكون على صوابٍ في هذا البحث، وكذلك لضيق الوقت.واقتضت طبيعة البحث والمادة العلمية، وضع خطة مسبوقة بملخص الرسالة و المقدمة، وتقسيمه الى مبحثين، المبحث الاول: آراءه في التصوف, وفيها مطلبين، ذكرت فيها آراءهُ في الأولياء، وآراءه في التوبة وصلاته، والمبحث الثاني: آراءه في غفلة القلب، ويتضمن مطالبين: تناولت فيها أهمية الذكر، وآداب الذكر.

المبحث الأول: آراءهُ في التصوف

المطلب الأول: آراءهُ في الأولياء

المكتوب الثامن[١]إلى الملا حبيب والملا أحمد، والشيخ مصطفي التيلي، في ردعهم[٢] عن الإعتراض على الأولياء[٣] رضي الله عنهم، والذبّ[٤] عنهم، بالأدلة وقبول آدابهم وما يتعلق بذلك. باسمه سبحانه والصلوة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه والتابعين[بعده](٥)، وبعد، فمن كليب[٦]، السدة[٧], السنية[٨]، محمد مظهر[٩]، إلى الإخوان، أعني بهم الملا حبيب والملا أحمد والشيخ مصطفي بن الشيخ نور الدين التيلي حفظهم الله، غب[١٠] السلام والاستدعاء والتفحص عن الأحوال والسلام على جميع جيرانكم، على كل من يسئل عنا، ما علموا أيها الإخوان فتح الله أعين بصيرتكم وأغلق عنكم باب الاعتراض على أوليائه، أنهم أهل خبرة الله عزوجل، وذو علم كامل بما جاء عنه، كلهم على نور من ربهم، فكل ما وضعوه من الآداب[١١] للمريدين[١٢]، فينبغي أن تلقوه بالقبول، وتعلموا أنهم اقتبسوه[١٣] من مصباح السنة، على صاحبها أفضل الصلوة وأكمل التحية. فإن رأيتم أدباً من آدابهم ولم تعرفوا مأخذه من السنة، أو من كتب الشرع، فلا ينبغي أن تطيلوا لسانكم بالاعتراض[١٤] عليهم؛ ففوق كل ذي علم عليم[١٥]. والاعتراض على أهل الله[١٦]، سيف من تناوله قتل به، ولحومهم سم قاتل[١٧] لساعته، من تناول منه شيئا هلك لوقته، نسأل الله العافية والسلامة لنا ولكم من ذلك المذكور. إذا علمتم هذا، فاعلموا أن سادات[١٨] النقشبندية[١٩] وضعوا آدابا أكيدة مهمة بل واجبة[٢٠] عندهم؛ لأنهم مجتهدون في آداب طريقتهم[٢١]، فجعلوا باجتهادهم ما هو سنة[٢٢] في الشرع[٢٣] واجبا[٢٤] في آداب الطريقة، لمن أراد الدخول في هذه الطريقة العلية، كالغسل بعد التوبة، كصلوة الركعتين بعدها[٢٥]، وكغيرهما من الآداب والأركان.

المطلب الثاني: آراءه في التوبة وصلاته

وفي جامع الأصول[٢٦] للشيخ أحمد ضياء الدين[٢٧]، خليفة مولانا خالد[٢٨] قدس سره، نقلا عن شرح رسالة الخادمي[٢٩] كيفية التلقين بعد ثبوت صدق المريد، أن يأمره الشيخ بالاستخارة[٣٠]، وأن يستخر هو أيضا، فإن وافقت استخارتهما، يأمر الشيخ المريد بأن يغتسل غسل التوبة، ثم يصلي المريد صلوة التوبة ركتعين، ثم يتصدق بصدقه، ثم يجئ عند الشيخ، فيجلسه الشيخ بين يديه، ويلصق ركتيه بركبتيه، ثم يأخذ الشيخ بيده اليمنى يد المريد كالمصافح له، ثم يستتبه الشيخ عن جميع المعاصي[٣١]، إلى آخر ما فيه، ويمكن ذلك بدون الإستخارة، كما إذا اكتفى الشيخ باطمئنان قلب المريد، وإن انضم كل واحد منها إلى الآخر، فهو نور على نور[٣٢]، كما في بعض الرسائل. وهذه الآداب من الغسل للتوبة، وصلوة الركعتين بعدها، وغيرهما تكون سابقة على التوبة، كما في هذا الكتاب، أو تكون متأخرة عنها، كما في آداب المريدين للإمام الرباني[٣٣]، وفي غيره من الوسائل. فمما اختلف فيه العلماء، فأيما كان لا مجال للاعتراض، لكن الظاهر أنها بعدها[٣٤]؛ لأن التوبة من الذنوب واجبة في الشرع فوريتها[٣٥]، فلا يجوز أن تكون هذه الآداب الواجبة عند السادات سبباً لتأخير ما هو واجب في الشرع فوريتها، إلا على ما أوله بعض العلماء من كون ركعتين من مبادئ التوبة، ومن كونها وسيلة لقبولها. وفي حاشية البجيرمي على الإقناع: وأما إذا جاءه شخص ليتوب فأمر بالتأخير، فإنه يحرم عليه؛ لأن التوبة من الذنوب واجبة في الحال[٣٦]. وفي المواهب السرمدية، ومقامات شاه قدس سره، وحدائق الوردية، قال شاه[٣٧] قدس سره مبتدأ يقظتي وتوبتي وانابتي أني كنت جالساً مع صاحب لي، في خلوة، فبينما أنا ملتفت إليه أكلمه، إذ سمعت قائلاً يقول لي: أما آن لك أن تعرض عن الكل وتتوجه إلى حضرتنا؟ فحصل لي من سماع هذا الكلام حال عظيم، وخرجت مسرعاً من ذلك البيت، لا يقر لي قرار، وكان قريباً منه ماء، فاغتسلت منه، وغسلت ثيابي، وفي تلك الحالة من الانابة صليت ركعتين، طالما مضت عليَّ أعوام وأنا أتمنى أن أصلي مثلهما، فلم أتمكن من ذلك[٣٨]. وهذا أيضاً يدل على أن الغسل والصلوة بعد التوبة حيث قال قدس سره" فاغتسلت" بالفاء، ثم قال:" وفي تلك الحالة من الإنابة صليت ركعتين" والله اعلم. وفي كتاب "نزل الأبرار بالعلم المأثور من الأدعية والأذكار"[٣٩]: هذه الصلوة، أي صلوة التوبة، لم تذكر في الأذكار وانما ذكرها الجزري في الحصن، وعدته، وهي من حديث أبي بكر الصديق (رض) قال سمعت رسول الله يقول:" ما من رجل يذنب ذنباً، ثم يقوم فيتطهر ثم يصلي ثم يستغفر الله إلا غفر له، ثم قرأ هذه الآية ﴿وَٱلَّذِينَ إذا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَو ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُم ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱستَغفَرُواْ لِذُنُوبِهِم وَمَن يَغفِرُ ٱلذُّنُوبَ إلا ٱللَّهُ﴾ (٤٠)، إلى آخر الآية، أخرجه أهل السنن الأربع، وابن السني والبيهقي وابن حبان، وزاد لفظ ركعتين بعد قوله يصلي، وهكذا زاد ابن خزيمة في صحيحه، وقد حسن هذا الحديث الترمذي وصححه ابن حبان وابن خريمة[٤١] وأخرج البيهقي عن الحسن البصري قال: قال سول الله ﷺ: ما أذنب عبد ذنباً، ثم توضأ فأحسن الوضوء، ثم خرج إلى براز من الأرض فصلي فيه ركعتين، واستغفر الله من ذلك الذنب، إلا غفر الله له". وهو مرسل آه(٤٢). ولخفاء مأخذ السادات الغسل بعد التوبة عليكم، سألتموني عن دليل الغسل بعد التوبة، فأجبتكم بأني لم أر من صرح من علماء مذهبنا به، ولكن قد رأيت كتب الحنفية أن الغسل بعد التوبة سنة(٤٣)، والظاهر أن مذهبنا(٤٤) أيضا كذلك؛ لأن كتب مذهبنا مشحونة من ذكر سنية غسل الكافر إذا أسلم(٤٥)، والإسلام توبة من معصيته وهي الكفر، فلعل علماء مذهبنا إنما تركوا التصريح بذكر سنية الغسل بعد التوبة؛ لظهورها من هذا، ثم

فتشت كتب مذهبنا، فرأيت في شرح التحرير[٤٦] لشيخ الإسلام القاضي[٤٧] ذكريا الأنصاري رضي الله عنه[٤٨]: (و) الغسل (لإسلام كافر خال عن حدث أكبر؛ لأنه ﷺ أمر به قيس بن عاصم[٤٩] لما أسلم، رواه الترمذي وحسنه وابن حبان وصححه[٥٠]، وحملوه على الندب؛ لأنه قد أسلم خلق كثير ولم يأمر بالغسل، ولأن الإسلام ترك معصية، فلم يجب معه غسل، كالتوبة من سائر المعاصي. إلى آخر ما فيه[٥١]. وفي حاشية الشرقاوي[٥٢] على ذلك الشرح: قوله (ترك معصية) أي وهي الكفر، وقوله: كالتوبة من سائر المعاصي أي فإنه لا يجب لها غسل بل يسن والظاهر أنه بعدها؛ لأن التوبة من الذنب واجبة في الحال، ويسن صلوة ركعتين للتوبة والظاهر أنهما بعدها أيضا لما مر، كذا قرره شيخنا عطية آه[٥٣]. وفي شرح كفاية الأخيار على غاية الاقتصار ومن الأغسال المسنونة (غسل كافر إذا أسلم)، وروي أنه ﷺ أمر قيس بن عاصم[٥٤]، وثمامة بن أثال[٥٥]، أن يغتسلا لما أسلما[٥٦] ولم يوجبه؛ لأن جماعة أسلموا فلم يأمرهم النبي ﷺ به، ولأن الإسلام توبة من معصية فلم يجب الغسل منه كسائر المعاصي، وهذا في كافر لم يجنب في كفره آه[٥٧]. وفي اعانة الطالبين على فتح المعين في باب الجمعة في مطلب الأغسال المسنونة: قوله:(لأن كثيرين أسلموا) أي ولأن الإسلام ترك معصية فلم يجب معه غسل كالتوبة من سائر المعاصي فإنه لا يجب لها غسل بل يسن أه[٥٨]. وفي شرح التحرير في باب صلوة النفل: ومنه صلوة التوبة[٥٩]؛ لخبر: ليس عبد يذنب ذنباً فيقوم فيتوضأ ويصلي الركعتين ثم يستغفر الله إلا غفر له. رواه أبو داود وغيره وحسنه الترمذي[٦٠]وفي حاشية الشرقاوي على ذلك الشرح: قوله (صلوة التوبة)[٦١] أي قبلها، كما هو ظاهر الحديث، حيث قال: ثم يستغفر، إذ الإستغفار هو التوبة على الراجح، وأيضاً فالصلوة وسيلة لقبول التوبة فتقدم عليها. وقال بعضهم أنها بعدها، وأن الاستغفار غير التوبة بل هو للشكر على حصولها ولطلب قبولها ودوامها. وقال الرملي: يسن ركعتان قبلها وركعتان بعدها آه. وفي حاشية الشيخ عبد الرحمن الشربيني على شرح البهجة: قوله:(وصلاة التوبة ركعتان إلخ) عبارة ق ل على الجلال: وركعتان للتوبة قبلها وبعدها، ولو من صغيرة، وانظر كيف يسوغ تأخير التوبة لما بعد الركعتين، وقد يقال: الركعتان من مبادئ التوبة، فإنه ورد «ما من عبد يذنب ذنبا فيقوم فيتوضأ ويصلي ركعتين، ثم يستغفر الله إلا غفر له» اه[٦٢]. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المبحث الثاني: آراءه في الغفلة القلب

المطلب الأول: أهمية الذكر

المكتوب العاشر[٦٣]إلى خليفته[٦٤] الملا عزيز القمرى في تعليمه دفع الخطرات و الغفلة: أن الذكر وفي تعلمه وظيفة الأمام في الختمة النقشبندية الكبرى. الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا[٦٥] أن هدانا الله والصلوة والسلام على سيدنا محمد الذي قال تعليما لنا اللهم لولا أنت ما أهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا فأنزلن[٦٦] سكينة علينا وعلى آله واصحابه الذين هم نجوم الهدى وسبل الاهتداء لمن بهم أقتدى[٦٧] وبعد فمن كليب السدة السنية محمد مظهر إلى الأخ في الله والساعي لله الملا عزيز حفظه الله غب السلام والاستدعاء والدعاء والتفحص عن الأحوال والسلام على جميع الفقهاء والجيران وعلى كل من يسئل عنا، اعلمك بان والدتي مع جميع اهل البيت والانجال والاخ محمد عاصم[٦٨] مع جميع الفقهاء والجيران في صحة يسلمون ويستدعون وداعون الله تعالى بدوام الصحة والسعادة لكم، وباني قد اخذت غيقتك[٦٩] المشعرة بالمحبة[٧٠] وبالسؤال عن حصون الغفلة، ان الذكر، وعن وظيفة الامام في الختمة التقشبندية الكبرى، اما بيان دفع حصول الغفلة والكسلان والقبض والخطرات فبانه إذا عرض للذاكر في اثناء الذكر واحد في هذه المذكورات فليفتح عينيه فانها تزول فان لم تزل فليقل بلسانه اللهُ نَاظِرِي اللَّهُ حاضرى ثلاثاً فان أستمرت هذه معه فليترك الذكر ويلاحظه رابطة المرشد[٧١]، فان لم تذهب – توضأ وصلى ركعتين واستغفر[٧٢] ودعا بهذا الدعاء يا كاشف كل كرب ويامجيب كل دعوة ويا جابر كل كسير و يا مسير كل عسير و يا صاحب كل غريب و يا مؤنس كل وحيد و يا جامع كل شمل و يا مقلب كل قلب و يا محول كل حال لا اله إلا انت سبحانك إني كنت من الظالمين اسالك أن تجعل لى فرجا ومخرجاً وان تقذف حبك في قلب حتى لا يكون لى هم ولافي قلبي غم وان تحفظني وترحمني برحمتك يا ارحم الرحمين، فتنصرف عنه هذه الاشارة أن شاء الله تعالى واما بيان وظيفة الامام في الختمة الكبرى[٧٣] فبانه ياخذ الامام معه من الحصى[٧٤] احدى وعشرين ثم يقول استغفر الله[٧٥] فيقوم واحد من اهل المجلس ويفرق الحصى الباقية و هي تسع وسبعون على الذين يعلمون الم نشرح لك[٧٦] من جهة يمين الامام فبعد التفريق يقول الامام فاتحة شريفة فيقرؤ سبعة مع الامام الفاتحة ثم يقول صلواة شريفة فالجماعة يصلون على النبى صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه بمقدار ما في ايديهم من الحصى ويصلى الأمام على ما في يده من الحصى لكن بمقدارهم ثم يقول الم نشرح لك ئي شريف وهم يقرؤ نه والامام يصلى على ما بقى بيده من الحصى الغير المقروئة عليها الصلوت ولا يقرا الامام الم نشرح لك ثم ياخذ الامام من الحصى التي في يده حصته بالنسبة إلى جماعة يضعها على الارض وياخذ الحصى الفاضلة على حصته بيده اليمني ويضربها على ركبته فيقوم ذلك الواحد وياخذها ويفرقها على الذين لم يعلموا الم نشرح لك وعلى الذين ما اعطاهم اولاً او كلاهما ولكن يبدأ في تفريق هذه الحصيات من جهة يسار الامام ثم يقول اخلاصي شريف وهم مع الامام يقرؤن

الاخلاص(٧٧) ولكن يقراء الامام في المرة الاخيرة سورة الاخلاص زائدة على ما في يده من الحصى بمرة واحدة ثم يقول فاتحة شريفه فيقرأ سبعة من الجماعة من جهة يسار الامام ثم يقول صلوة شريفه ثم يبدا بقراءة السلسلة على ما في الختمة الصغرى بلا فرق فبعد قراءتها يقرأ عشراً من القرآن ثم يستغفرون(٧٨) وبان مدار الطريق النقشبندية على الاخلاص والمحبة والتسليم كلما ازدارت ازداد صاحبه ترقيا فادني مراقب الاخلاص رؤية جميع طرق الهداية مسدودة عليه غير باب الاستاذ(٧٩) وأن يصر هدايته على يدالأستاد ولو كانت الدنيا مملوة من الأولياء و الأقطاب(٨٠) وأدنى مراتب لمحبة أن يكون أستاذه أحب إليه من النفس والمال والولد والأبوين والأخوان لأن مجبته توجب الحيوة الأبدية(٨١) وأدنى مراتب التسليم هو أن يكون المريد بين يد الأستاد كالميت بين يدى الغاسل(٨٢) وبأن أركان الختمة عشرة الأول الاستغفاري الثاني قرائة سبع فاتحات الثالث الصلوة على النبي ﷺ مأة مرة الرابع قراءة سورة الم نشرح لك تسعاً وسبعين مرة الخامس قرائة سورة الأخلاص ألف مرة و واحدة ا لسادس قرائة سبع فاتحات أيضاً السابع الصلوة على النبي ﷺ صعيد ماة مرة الثامن قرائة السلسلة(٨٣) التاسع قراءة شيئي من القرآن بعد قرائة السلسلة العاشر أيضا الاستغفار وقد نظم ترتيب الختمة الكبرى مولانا خالد(٨٤) قدس سره بقوله: إذا ما دمت ختم الخواجَكَانِي فَسَبَقًا أَقْرَأُ السَّبْعِ المثَّانِي وَصَلَّ عقبه مأة ثمان على الهادي الحبيب بلا ثواني وكرت في الم نشرح بصدق بعدد طاء مع عين العيان وقل في سورة الاخلاص الفاً وزدهُ واحِداً عند البيان وعد للاولين بصدق عزم كما ذكروا تنل كل الامان وسئل ما شئت من خَيْرٍ تجده وتعط ما تروم مع التهاني وبان احجار الرمى يبقى الان إلى ان يرى بعضا بعضاً دمتم بالسلامة والسعادة الأبدية بجاه خير البرية عليه وعلى آله وأصحابه أفضل الصلوة وأذكى التحية(٨٥).

المطلب الثاني: آداب الذكر

المكتوب الخامس والعشرون(٨٦)إلى الملا صديق البوبي في آداب الاوراد والاذكار والافتاء بما لا محيص عنه من الخطرات بعد دفعها ما امكن وفي رؤية النفس مقصّرة بسم الله الرحمن الرحيم حمدا لمن وفّق من اصطفاه لنفع عباده واسعد من ارتضاه لهدايته وارشاده وصلوة وسلاماً على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه وعترته(٨٧) المتمسكين بعهوده الوثيقة الناهجين لمنهج الشريعة والحقيقة وبعد فمن كليب السدة السنية محمد مظهر إلى الآخ في الله والحب لله الملا صديق حفظه الله غب السلام والدعاء والاستدعاء والتفحص عن حال والأحوال والسلام على زين العابدين والحاج داود وأبنائه والسيد عبد الجليل و أبراهيم والاستدعاء منهم والسلام على جميع جيرانك وعلى كل من يسئل عنا اعلمك بان والدتى مع محمد خالد ومحمد عاصم وجميع اهل البيت والانجال والفقهاء والجيران في صحة وعافية يسلمون عليك وعلى المذكورين وداعون الله بدوام الصحة والسعادةلك ولهم، وبانه قد وصل مكتوبك المشعربالاخلاص والمحبة والمعلن بخرقتك على آداب الطريقة النقشبندية وبان آداب جر الأوراد كما كتبت عدم خطور شيء بالبال(٨٨) حين الذكر ويلزم التجرد من الشواغل الدنيوية كلها لأن من يريد الذكر يريد الدخول في حضرة الرب التي هي كناية عن الاقبال(٨٩) التام على الله عز وجل والإعراض(٩٠) عن كل ما سوى الله تعالى حتى عن نفسه والأدب في الذكر ذلك المذكور ويطلب ان امكن بتمامه(٩١) والا فبقدر ما يمكن فلا يترك الذكر لفقده لان العمل في الغفلة خير من الغفلة عن العمل فاللازم السعى في الذكر ولو مع الغفلة إلى ان يحصل توجه القلب دائما إلى الحق تعالى وطرحه لكل ما سواه سبحانه وتعالى بالذكر لان الذكر بمثابة الفاس يقطع به شوك الخواطر من طريق القلب ولانه قال عليه الصلوة والسلام لكل شيء صقال وصقال القلب ذكر الله تعالى وبأني قد رايت في مكتوبات الامام الرباني مجدد الألف الثاني(٩٢) رضي الله عنه وعنا به ان راى المريد نفسه مقصرا في رعاية بعض الآداب ولم يبلغ إلى حد ادائه كما ينبغي ولم يقدر على ان يخرج عن عهدته(٩٣) بالسعى فهو معفو عنه ولكن لا بد من الاعتراف بالتقصير فان لم يراع الآداب عياذاً بالله سبحانه وتعالى او لم ير نفسه مقصرا فهو محروم من بركاة(٩٤) الأكابر(٩٥) آه. وفي رؤيتك نفسك مقصرا في آداب الذكر بشارة عظيمة لك(٩٦) حيث لم تكن محروما من بركات وبأني قدرأيت في مكتوبات الأستاد الاعظم قدسنا الله بأسراره وأروانا من بحارأنواره ان الاستغفار بعد الأعمال الصالحة على ظن عدم الاتيان بها كما ينبغي ويليق بعظيم شانه وكبريائه(٩٧) تعالى فتكون ذنبا فلابد من الاستغفار منه ولا يلزم من ظن أنها ذنب تركها اذ التكليف بها باق كل وقت فلا بد أن يقوم المكلف كل حين الإتيان بها فاذا قام إليها ولم يأت بها كما هو مكلف بها يلزم الاستغفار بالنياز(٩٨) والتفرع لجنابه تعالى و تقدس(٩٩) كالعبد الذي يأمره السيد دائما الإعلان بالخدمة و هو لا يقدر على الآتيان بحقها فيتضرع بالنياز إليه فيعفوه، أه والذكر من الأعمال الصالحة فقسه عليها، وبأنه يجيب على المريد إمتثال امر الاستاد وان لم يقدر على تمام الآداب المأمور بها قال علاءالدين العطار(١٠٠) قدسنا الله وإياكم باسراره و أنواره و أروانا وإياكم من بحار أنواره كل ما أمر به الشاه النقشبند(١٠١) قدس سره شرعت فيه بتقليد(١٠٢). وقال أيضا أنا ضامن لمن اتى بشيء تقليداً للسادات ان لا يكون محروماً بل يحصل له فوائد حجة، أه نقل أنه قال واحد المشايخ لواحد من مريده اذهب إلى الموضع الفلانى فذهب من غير استفسار شيء وفي الليلة جاءت جارية لصاحب البيت لتهيء الفراش فيخطر له ان يأخذ بيدها ويقبلها فشق جدار البيت وظهرت يد الشيخ(١٠٣) فاغمى(١٠٤) على المريد وفرت الجارية فلما رجع المريد قال له الشيخ فليكن الامتثال مثل امثالك وليكن الحفظ

مثل حفظى حيث ذهبت من غير استفسار وحفظتك كما ترى آه والحاصل أن المريد كالأعمى والأعمى يذهب مع قائده بلا تكلم فاشتغل بما قيل لك واجعله محبوباً وان لم تقدر على تمام آدابه والمقصود من الذكر ايقاظ القلب واصلاحه لانه إذا صلح صلح كله كما قال النبي صل الله عليه وسلم إلا وان في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كل إلا وهى القلب([١٠٥]) وان امكنك الزيادة على ما جررت إلى الان من الاوراد فزد عليه اربعة او ستة آلاف دمتم سالمين بحمايه رب العالمين وصلى الله وسلم م على سيدنا محمد وعلى اله واصحابه وازواجه ومهاجريه وانصار وأنصاره أجمعين.

المصادر

١.الإصابة في تمييز الصحابة: لأبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ط: الأولى – ١٤١٥ هـ/٥٢٥

٢.إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين (هو حاشية على فتح المعين بشرح قرة العين بمهمات الدين): لإمام أبو بكر (المشهور بالبكري) عثمان بن محمد شطا الدمياطي الشافعي (ت ١٣١٠هـ) الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوريع –ط: الأولى، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م

٣.الأعلام: لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦ هـ) الناشر: دار العلم للملايين ط: الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢ م

٤.إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع –لإحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس المقريزي (ت ٨٤٥هـ) المحقق: محمد عبد الحميد النميسي الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت–ط الاولى –١٤٢٠هـ–١٩٩٩م

٥.تاريخ الأدب العربي المؤلف: الدكتور شوقي ضيف الناشر: دار المعارف – مصر الطبعة: الأولى، ١٩٦٠ – ١٩٩٥ م

٦.التاريخ المعتبر في أنباء من غبر لمجير الدين العليمي عبد الرحمن الحنبلي تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين إشراف: نور الدين طالب الناشر: دار النوادر، سوريا/ ط: الأولى، ١٤٣١ هـ – ٢٠١١ م

٧.تَحْرِيرُ تنقيح اللباب فِي فِقْهِ الْإِمَامِ الشَّافِعِي لشيخ الإسلام الإمام الحافظ أبي يحيى زكريا بن محمد الانصاري،طبعة الاولى شركة دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع / بيروت – لبنان،

٨.تحفة الحبيب على شرح الخطيب = حاشية البجيرمي على الخطيب: لسليمان بن محمد بن عمرالبُجَيْرَمِيّ المصري الشافعي (ت ١٢٢١هـ) الناشر: دار الفكر ط: بدون طبعة تاريخ النشر: ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م

٩.تحفة الطلاب بشرح متن تحرير تنقيح اللباب في فقه الإمام الشافعي لشيخ الإسلام القاضي زكريا بن محمد الأنصاري المتوفى سنة ٩٢٦هـ خرج احاديثه وعلق عليه أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية باب الغسل

١٠.التوقيف على مهمات التعاريف : ل زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت ١٠٣١هـ) الناشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت–القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ–١٩٩٠م

١١.جامع الأصول في ألأولياء الطرق الصوفية ، للسيد أحمد النقشبندي الخالدي تحقيق أديب نصر الله الغلاف محمد شمس الدين المؤسسة الانتشار العربي ص ب ٥٧٥٢/١١٣ بيروت – لبنانجميع الحقوق محفوظة الطبعة الأولى ١٩٩٧

١٢.حاشية الشرقاوي الشيخ عبد الله بن حجازي بن إبراهيم الشافي الأزهري المتوفى سنة ١٢٢٦على تحفة الطلاب بشرح تحرير تنقيح اللباب للشيخ الإسلام أبي يحيى زكريا الأنصاري دار الكتب العلمية بيروت – لبنان

١٣.الحدائق الوردية في حقائق أجلاء النقشبندية: لعبد المجيد بن محمد

١٤.حزينة الأسرار جليلة الأذكار – لسيد محمد حقى النازلي – دار الفكر بيروت – لبنان /

١٥.حقائق التصوف لشيخ العارف بالله عبد القادر عيسي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–منشورات دار العرفان –سورية–حلب –الطبعة السادسةعشر

١٦.الدرر المكنونات النفيسة في تعريب المكتوبات الشريفة :للامام الربانى احمد زين العابدين،السرهندي التعريب محمد مراد بن عبد الله القزاني المنزلوي المكي (المتوفى : ١٣٥٢ هـ) الناشر: مكتبة النيل القاهرة مصر

١٧.رجال الفكر والدعوة فى الاسلام للامام ابو الحسنى علي الحسينى دار ابن كثير للطباعة والنشر دمشق –بيروت الندوى/

١٨.الرسالة القشيرية : لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت ٤٦٥هـ) تحقيق: الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف الناشر: دار المعارف، القاهرة .

١٩.رياض الصالحين لأبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦ هـ) المحقق:شعيب الأرنؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان ط: الثالثة، ١٤١٩ هـ/١٩٩٨ م /

٢٠.سنن ابن ماجه : للإمام محمد بن ماجة القزوينيالمحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد – محمَّد كامل قره بللي – عَبد اللّطيف حرز الله: الناشر: دار الرسالة العالمية: الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩

٢١.سنن أبي داود أبو داود :للإمام سليمان بن الأشعث ، المحقق: شعيب الأرنؤوط – محمد كامل قره بللي :الناشر: دار الرسالة العالمية:الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م

٢٢.السنن الكبير: للامام أبو بكر أحمد البيهقي :تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي:الناشر: مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية – القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١ م:

٢٣.السننه الكبرى : الامام أحمد بن الشعيب النسائى، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي : أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط:الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت: الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م

٢٤.شعب الإيمان: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي: للإمام : حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: د عبد العلي عبد الحميد حامد الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض : الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م ، برقم ٥٢٧٨،

٢٥.شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم لنشوان بن سعيد الحميرى اليمني (ت ٥٧٣هـ ت : د حسين بن عبد الله العمري – مطهر بن علي الإرياني الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، دار الفكر (دمشق – سورية ط: الأولى، ١٤٢ هـ – ١٩٩٩ م

٢٦.صحيح ابن حبان للإمام محمد بن حبان البُستي : المحقق: محمد علي سونمز، خالص آي دمير: الناشر: دار ابن حزم – بيروت:الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢ م

٢٧.صحيحُ ابن خُزَيمة : للإمام ابن أبو بكر محمد بن خزيمة النيسابوري:: حَقّقهُ وعَلّق عَلَيه وَخَرّجَ أَحَاديثه وَقدَّم له: الدكتور محمد مصطفى الأعظمي

٢٨.صحيح البخاري: للامام محمد بن إسماعيل البخاري : المحقق: د. مصطفى ديب البغا: الناشر: (دار ابن كثير، دار اليمامة) – دمشق: الطبعة: الخامسة، ١٤١٤ هـ –

٢٩.صحيح مسلم للامام مسلم بن الحجاج النيسابوري :محقق محمد فؤاد عبد الباقي:الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة :عام النشر: ١٣٧٤ هـ – ١٩٥٥ م

٣٠.طبقات الصوفية: لمحمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري، (ت ٤١٢هـ) ت: مصطفى عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ ١٩٩٨

٣١.العدة في الاصول الفقه

٣٢.عمل اليوم والليلة سلوك النبي مع ربه عز وجل ومعاشرته مع العباد للإمام أحمد بن محمد «ابن السُنِّي» المحقق: كوثر البرني: الناشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن – جدة / بيروت

٣٣.العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي، حيث قال: "الردع: الكف". انظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال،

٣٤.غريب الحديث لأبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) المحقق: د. عبد الله الجبوري الناشر: مطبعة العاني – بغداد الطبعة: الأولى، ١٣٩٧

٣٥.فوائد منتقاة من كتاب الكنز المدفون: لعبد الرحمن بن يحيى المُعَلِّمي اليماني (١٣١٣ – ١٣٨٦ هـ) المحقق: أسامة بن مسلم الحازمي الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزي– ط– الأولى، ١٤٣٤هـ

٣٦.القاموس المحيط : لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان ط: الثامنة، ١٤٢٦ هـ

٣٧.الكافي في علوم الحديث: لأبو الحسن علي بن أبي محمد عبد الله بن الحسن الأردبيلي التبريزي (٦٧٧ – ٧٤٦ هـ) المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان الناشر: الدار الأثرية، عمان – الأردن ط: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م

٣٨.كشف الخفاء ومزيل الإلباس:للإمام إسماعيل بن محمد العجلوني : الناشر: المكتبة العصرية:تحقيق: عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هنداوي :الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٣٩.كفاية الأخيار في حل غاية الإختصار: لأبو بكر بن محمد بن عبد المؤمن بن حريز بن معلى الحسيني الحصني، تقي الدين الشافعي (ت ٨٢٩هـ) الناشر: دار الخير - دمشق ط: الأولى، ١٩٩٤

٤٠.كوثَر المَعَاني الدَّرَارِي في كَشْفِ خَبَايا صَحِيحْ البُخَاري للامام محمَّد الخَضِر الجكني الشنقيطي (ت ١٣٥٤هـ) الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م/

٤١.كيشمي: بركات أحمدية، ص ٣٠٠- ٣١٥؛ أبو الحسن الندوي: الإمام الرباني، ص ١٧٤ - ١٧٩؛ بدر الدين السرهندي: وصال أحمدي (الناشر: غلام مصطفى خان)، كاراجي: ١٣٨٨/ ١٩٦٨

٤٢.لجامع الكبير: للامام : محمد بن عيسى الترمذي: احققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط وجماعة من المحققين: الناشر: دار الرسالة العالمية:الطبعة: الأولى،.

٤٣.لسان العرب: لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل،جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى(ت ٧١١هـ) الناشر: دار صادر بيروت ط: الثالثة - ١٤١٤ هـ

٤٤.لواقح الانوار القدسية فى بيان العهود المحمدية لامام أبى المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن على بن أحمد الشافعي المصرى المعروف بالشعراني المتوفي سنة ٩٧٣هـ ضبطه وصححه محمد السلام إبراهم الناشر :دار الكتب العلمية :بيروت سنة الطباعة ٢٠٠٥م بلد الطباعة:لبنان الطبعة الثانية

٤٥.مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للإمام نور الدين علي الهيثمي: المحقق: حسام الدين القدسي : الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة :عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م

٤٦.المجموع شرح المهذب : لأبو زكريا محيي الدين بن شرف النووي (ت ٦٧٦ هـ) باشر تصحيحه: لجنة من العلماء الناشر: (إدارة الطباعة المنيرية، مطبعة التضامن الأخوي) - القاهرة عام النشر:١٣٤٤ - ١٣٤٧ هـ (أصل النووي فقط) وصَوَّرَتْها: دار الفكر بيروت في ٢٠ مجلدًا: مشتملا على مجموع النووي وتكملة السبكي وتكملة المطيعي

٤٧.محمد بن أحمد أبي منصور الأزهري (ت ٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط١، ٢٠٠١م

٤٨.محمد بن علي التهانوي (ت بعد ١١٥٨هـ)، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، ط١، ١٩٩٦م،

٤٩.مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ط٥، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م،

٥٠.مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) ت: محمد المعتصم بالله البغدادي الناشر: دار الكتاب العربي -بيروت الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م /

٥١.مراجع ألإعلام ألشرقية في ألمائة الرابعة عشرة الهجري :ط الثانية بيروت لبنان دار ألغرب السلامي

٥٢.مراق الفلاح شرح متن نور الإيضاح باتصريف لحسن بن عمار بن علي الشرنبلالي المصري الحنفي (ت ١٠٦٩هـ) الناشر: المكتبة العصرية ط: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م

٥٣.مسند الإمام أحمد بن حنبل: لإمام أحمد بن حنبل: ،المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

٥٤.المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: لأحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت نحو ٧٧٠ هـ الناشر: المكتبة العلمية - بيروت

٥٥.معجم المؤلفين: لعمر رضا كحالة الناشر: مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت

٥٦.المعجم الوسيط" الذي أعدَّه جماعة من العلماء، بإشراف مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الطبعة الثانية،

٥٧.معجم مقاييس اللغة : لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ) ت: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفك عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. باب مرد : وتاج العروس /٤٥٦/٣

٥٨.مفيد العلوم ومبيد الهموم: لأبي بكر الخوارزمي محمد بن العباس (ت ٣٨٣هـ) الناشر: المكتبة العنصرية، بيرو-
٥٩.مكفرات الذنوب وموجبات الجنة : لعبد الرحمن بن علي بن محمد الشيباني الزبيدي الشافعي، وجيه الدين، المعروف بابن الديبع (ت ٩٤٤ هـ) هذبه وزاد عليه: عبد القادر أحمد عطا [ت ١٤٠٣ هـ الناشر: دار الاعتصام
٦٠.الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة «من القرن الأول إلى المعاصرين مع دراسة لعقائدهم وشيء من طرائفهم» جمع وإعداد: وليد بن أحمد الحسين الزبيري، إياد بن عبد اللطيف القيسي، مصطفى بن قحطان الحبيب، بشير بن جواد القيسي، عماد بن محمد البغدادي الناشر: مجلة الحكمة، مانشستر – بريطانيا ط : الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م
٦١.موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي عدد الأقسام: ١٦ (٩ عصور، و ٧ ملاحق)نقلها وأعدها للشاملة/ أبو سعيد المصري/ج١٥/ص١،- و ذيل لب اللباب في تحرير الأنساب (ابن العجمي، شهاب الدين) الناشر: مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، اليمن الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م
٦٢.موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي مكتبة لبنان ناشرون بيروت – لبنان الدكتور رفيق الحجم الطبعة الأولى ١٩٩٩
٦٣.نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر لعبد الحي الحسني الطالبي (ت ١٣٤١هـ) دار النشر: دار ابن حزم – بيروت، لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ، ١٩٩٩م
٦٤.نزول الابرار بالعلم المأثور من الادعية والاذكار، للامام سيد محمد صديق حسن خان –ط الثانية –الناشر دار المعرفة بيروت لبنان
٦٥.نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج: لشمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة شهاب الدين الرملي (ت ١٠٠٤هـ) الناشر: دار الفكر، بيروت طبعة: ط أخيرة – ١٤٠٤هـ
٦٦.هدية الذاكرين وحجة السالكين – ليوسف أفندي شوقي الطربزوني الأوفي بلداً الحنفي مذهباً النقشبندي طريقة/
٦٧. الوابل الصيب من الكلم الطيب لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) الناشر: دار الحديث – القاهرة رقم الطبعة: الثالثة، ١٩٩٩م

هوامش البحث

(١) وهو المكتوب الثامن في المخطوطة (أ) و (ب).

(٢) الردع في أصل اللغة يدل على المنع والكف، ويقال:"ردعته ردعًا فارتدع"، أي كففته فانكفّ. ومنه أيضًا قولهم:"ارتدع الرجل"، إذا همّ بأمر ثم أحجم عنه عند رؤيته لغيره. وهذا المعنى يحمل دلالة التوقف عن الفعل نتيجة زاجرٍ معنوي أو هيبةٍ قائمة. وقد استعير هذا المعنى في السياق الصوفي ليشير إلى كفّ المعترضين عن أولياء الله، أي: منعهم من التطاول أو الاعتراض عليهم. فالمقصود بالردع هنا: الزجر عن سوء الأدب مع أهل الولاية، حفظًا لحرمتهم وردًّا للجهل بالهيبة. وقد ورد هذا التفسير في "العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي، حيث قال: "الردع: الكف". انظر: العين، تأليف الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ج٢، ص٣٢.

(٣) "الأولياء" جمع "ولي"، وهو مأخوذ من الفعل "وليَ"، الذي يدل في أصل اللغة على معاني القرب والدنو، ومنه قولهم: "تباعد بعد وليٍّ"، أي بعد قرب. ويقال: "كل مما يليك"، أي مما هو قريب منك. كما يُطلق اللفظ على ضدّ العدو، فيقال: فلانٌ وليٌّ إذا لم يكن عدواً. ويُطلق كذلك على من تولى أمر غيره، فقيل: "تولّاه"، أي تولّى شؤونه، وكل من قام بأمر إنسان فهو وليّه. انظر: مختار الصحاح، لأبي عبد الله محمد الرازي (ت ٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط٥، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص٣٤٥. أما في الاصطلاح الصوفي، فإن الولي هو: العارف بالله، وبأسمائه وصفاته – بحسب الطاقة البشرية – المداوم على الطاعات، المجتنب للمعاصي، المعرض عن الغفلة والانغماس في الشهوات والملذات. وهو في مقام الفناء والبقاء، قد فني عن نفسه، وبقي بالله، فلا يخبر عن ذاته، ولا يستقر مع غير الله. انظر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، لمحمد بن علي التهانوي (ت بعد ١١٥٨هـ)، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، ط١، ١٩٩٦م، ج٢، ص١٨٠٦.

(٤) الذَّبُّ في اللغة يدل على الدفع والمنع والطرد، ويُقال: "فلانٌ يَذُبُّ عن حريمه ذبًّا"، أي يدفع عنهم الأذى ويمنع عنهم العدوان، في صورةٍ من صور الغيرة والحماية والدفاع المشروع. وتأتي هذه الدلالة لتعبّر عن معنى القوة في الوقوف دون الْمُعتدى عليه، بما يحفظ الحقّ ويصون الحُرُمات. انظر: لسان العرب، لابن منظور (ت ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ، ج١، ص٣٨٠.

(٥) جاء في المخطوحة كلمة (قصده) لكن السياق يقتضي كلمة (بعده)

(٦) "كُلَيْب" اسم علم مذكر عربي قديم، مشتق من مادة "ك–ل–ب"، ويُقال في اللغة: "رجلٌ كَلِبٌ" إذا اشتد حرصه وتعلّقه بالشيء، ومنه "كَلَبَ كلبًا"، أي بالغ في التعلّق به وطلبه بشدة. وهذا الاشتقاق يحمل دلالة القوة في الإرادة والتشبث، وقد غلب استعماله في الأسماء الجاهلية، لما فيه من معاني الشراسة والعزم. انظر: العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ)، باب الكاف واللام والباء، ج٥، ص٣٧٦.

(٧) تُطلق السُّدَّة في اللغة على السقيفة المبنية فوق باب الدار، كما قيل أيضًا إنها تُطلق على الباب نفسه، فهي إذًا دالّة على موضع الدخول وما يعلوه من غطاء معماري يحمي ويظلّل. وقد ورد هذا المعنى في كتب اللغة القديمة، حيث نُقل عن بعض أهل اللغة هذا التفسير في تعدد الدلالة بين السقف والباب. انظر: تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد أبي منصور الأزهري (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ٢٠٠١م، ج١٢، ص١٩٧، مادة "س د د".

(٨)السُّنِّيَّة: هي نسبة إلى السُّنَّة النبوية الشريفة، أي ما أُثِر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلْقية أو خُلُقية. وقد ورد هذا المصطلح في "المعجم الوسيط" الذي أعدَّه جماعة من العلماء، بإشراف مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الطبعة الثانية، ضمن مادة (س ن ن)، الجزء الأول، ص ٤٥٥. وقد استُعملت هذه النسبة في كلام الشيخ محمد المَظهَر بطريقة بليغة ذات دلالة عميقة، حيث قال:"فمِن كليب السُّدَّة السُّنِّيَّة"، والمقصود من هذا التعبير تشبيه نفسه بالكلب الوفيّ الواقف على باب السيادة النبوية، تعبيرًا عن التذلل الكامل، والحرص الشديد على خدمة سنة النبي ﷺ، واتباع طريقته، وتمثُّل شريعته. وقد كان في هذا التوصيف هَضْمٌ لنفسه وتعظيمٌ لشأن السنّة، إذ جعَل من نفسه خادمًا على عتبة السنة الشريفة، لا يبرح مكانه حرصًا على ملازمتها. وهذا الأسلوب في التعبير يدل على أدب رفيع، وتواضع جمّ، وولاء كامل للسنّة النبوية، ويُعَدّ من دقائق إشارات الصالحين الذين جمعوا بين المعرفة والعبودية، وبين الحب والاتباع.

(٩) قد سبق تعريفه في الفصل الأول وهو صاحب المخطوطة.

(١٠))كلمة "غَبّ" من الألفاظ العربية ذات السياقات المتعددة، وتختلف دلالتها باختلاف الموضع الذي تُستعمل فيه. أما في السياق الذي يرد فيه التعبير "غَبّ السلام"، فإن المقصود بها الزمن الذي يلي السلام مباشرة، أي "بعده". وقد أشار إلى هذا المعنى الإمام أحمد بن فارس الرازي (ت ٣٩٥هـ) في كتابه "مقاييس اللغة"، حيث ذكر أن مادة (غ ب ب) تدور حول معاني التأخر والتراخي، ومن ذلك قولهم: "غَبَّ الشيء" أي أتى بعده، أو وقع تاليًا له في الترتيب الزمني. أحمد بن فارس الرازي، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط١، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، ج٤، ص٣٧٩.

(١١)() يتأسس مفهوم الآداب عند أهل التصوف على مبدأ تهذيب النفس وتزكيتها، وهي غاية عظمى في طريق السلوك إلى الله تعالى. وقد عرّف العلّامة محمد المناوي (ت ١٠٣١هـ) الآداب بقوله:"رياضة النفس ومحاسن الأخلاق، ويقع هذا اللفظ على كل رياضة محمودة يُتخرّج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل"؛ وهو تعريف جامع يُبرز الأفق التربوي والسلوكي لهذا المصطلح. انظر: التوقيف على مهمات التعاريف، ص٤٣. وفي الإطار الصوفي، يوضح عبد الوهاب الشعراني أن المقصود بالآداب هو تلك الأحكام السلوكية التي قررها شيوخ التصوف للمريدين؛ قصدًا إلى تطهير نفوسهم من الرذائل، وتحليتها بالفضائل والمحاسن. انظر: الأنوار القدسية، ج١، ص٣٢، ٤٠. وقد بسط أهل التصوف منظومة متكاملة من الآداب التي يرونها لازمة للمريد في سيره وسلوكه، ومن أبرز هذه الآداب:

١. الصدق: وهو لغةً: ضد الكذب، ويُقال: "صَدَقَ الحديث" إذا طابق الواقع. انظر: الكنز المدفون، ج٢٠، ص٢٦. واصطلاحًا: هو تثبيت القلب على ما تحقق من أخبار أهل التحقيق، وهو أمر كسبي يُكتسب بالاختيار، ولذا فهو مأمور به ومثاب عليه. انظر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج١، ص٤٥١. ويمثل الصدق حجر الأساس في البناء السلوكي الصوفي؛ إذ به يتحقق الإخلاص في الطلب، وتصفو النية، وتثبت العزيمة على الطريق.

٢. الطاعة: وهي لغةً: الانقياد والخضوع، يُقال: "طاع له" أي انقاد. انظر: لسان العرب، ج٨، ص٢٤٠. واصطلاحًا: طاعة الله تعالى تعني امتثال أوامره واجتناب نواهيه، سواء وردت هذه الأوامر على وجه الوجوب أو الندب، وتلك النواهي على وجه التحريم أو الكراهة. والطاعة لا تعني موافقة الإرادة الإلهية فحسب، بل تعني التزام التكليف الشرعي. انظر: كشاف الاصطلاحات، ج٢، ص١١٢٣. فالطاعة هي التجلي العملي للصدق، إذ لا يكون المريد صادقًا في دعواه الإرادة إلا إذا أطاع مولاه في السرّ والعلن.

٣. التوبة: وهي لغةً: الرجوع عن الذنب، ويُقال: "تاب من ذنبه" أي رجع عنه. انظر: مختار الصحاح، ص٤٧. واصطلاحًا: هي الندم الصادق على ارتكاب المعصية لكونها مخالفة، مع العزم الجازم على عدم العود إليها متى ما قُدِر عليها. انظر: كشاف الاصطلاحات، ص٥٢٤. وتُعد

التوبة أول منازل السائرين إلى الله، وهي المدخل الذي لا يُفتح الطريق بدونه؛ إذ لا يصح الشروع في السير ما لم يتطهّر القلب من الأوزار، وتُصَحَّح النية بالتوجه المخلص.

(١٢) تدل مادة (مَرَدَ) في اللغة على معنى التجريد، ومنه قولهم: "مَرَدَ الشيء"؛ أي جرّده من قشره أو مما يعلوه من شعر. انظر: أحمد بن فارس القزويني الرازي (ت ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، ج٥، ص٣١٧. واصطلاحا: تعددت عبارات العلماء في تعريف المريد، غير أنها تتقارب في المعنى والمقصد، ومن أبرز تلك التعريفات:

١. تعريف الحسين بن منصور الحلاج (ت ٣٠٩هـ): عرّف المريد بأنه:"الرامي بقصده إلى الله عز وجل، فلا يَعْرُج حتى يصل". وهو تعريف يُظهر عزم المريد وتصميمه على الوصول إلى الله دون التفات أو توقف. انظر: محمد بن الحسين النيسابوري (ت ٤١٢هـ)، طبقات الصوفية، تحقيق مصطفي عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ، ص٢٣٨.

٢. تعريف أبي علي الروذباري (ت ٣٢٢هـ): فرّق بين المريد والمراد بقوله:"المريد: الذي لا يريد لنفسه إلا ما أراد الله له، والمراد: لا يريد من الكونين شيئًا غير الله". وهذا التمييز يعبّر عن درجات السير؛ فالمريد في مقام الطلب، والمراد في مقام الاصطفاء. انظر: طبقات الصوفية، ص٢٧١.

٣. تعريف أبي القاسم الجنيد (ت ٢٩٧هـ):قال:"المريد الصادق إذا أراد الله به خيرًا، أوقعه في طائفة الصوفية، يهذبون أخلاقه، ويعينونه على تزكية نفسه، وإزالة صفاتها الذميمة، واستبدالها بالأخلاق الحميدة، ويعرّفونه منازل الطريق، ومفاوزها، وقواطعها". وهذا التعريف يبرز الجانب التربوي والجماعي في سلوك المريد، من خلال مصاحبة أهل الطريق. انظر: ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، مدارج السالكين، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤١٦هـ، ج٢، ص٣٥٠.

(١٣)الاقتباس في أصله اللغوي مأخوذ من "القبس"، وهو الشعلة المأخوذة من النار، ثم استعير في الاستعمال المجازي ليدل على طلب العلم والهداية، كما ورد في قوله تعالى:﴿نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ الحديد: ١٣، في إشارة إلى استعارة النور المعنوي الذي هو الهداية. وأما في الاصطلاح، فالاقتباس يُطلق على تضمين الكلام نثرًا كان أو نظمًا شيئًا من القرآن الكريم أو السنة النبوية، دون أن يُقصد به التلاوة أو يُعدَّ من النصوص الشرعية، بل يُدرج في الكلام لغرض التزيين أو التأييد أو الإيحاء، مع الحفاظ على حدود الأدب وعدم الإخلال بحرمة النص الشرعي. وقد عرّفه العلّامة محمد عبد الرؤوف المناوي القاهري (ت ١٠٣١هـ) بقوله:"هو تضمين الكلام، نثرًا أو نظمًا، شيئًا من القرآن أو الحديث، لا على أنه منه". المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، ج٢، ص٣٥٠.

(١٤)الاعتراض في اللغة مصدر من الفعل "اعترض" من باب "فَعَلَ – يَفعِل"، وأصله من الفعل "عَرَضَ"، يقال: عَرَضَ له الشيء إذا وقع له أو وقع فيه. وقد تُستعمل مادة "العَرْض" في سياقات تدل على الانتقاص أو الإساءة، كقولهم: "أعرضَ فلانٌ بعرض فلان"، أي: شتمه أو ذمَّه، أو اعتدى عليه قولًا أو فعلًا، أو حتى ساواه في النسب أو الحَسَب، مما قد يُفهم منه التعريض بالمكانة أو القدر. وقد جاء في مختار الصحاح للإمام زين الدين الرازي (ت ٦٦٦هـ):" لا تُعرض عرض فلان"، أي: لا تذكره بسوء أو شتم. مختار الصحاح، ص٢٨٨.

(١٥) اقتبس الشيخ من الآية من القرآن الكريم من سورة يونس.

(١٦) ورد في بعض الأحاديث النبوية الشريفة ذكر "أهل الله"، وقد صحّ ذلك عن النبي ﷺ فيما رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده، بإسناد حسن، عن الصحابي الجليل أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ:«إنَّ للهِ أهلينَ من الناسِ». قيل: يا رسولَ اللهِ، ومن هم؟ قال: «أهلُ القرآنِ، هم أهلُ اللهِ وخاصتُه». مسند أحمد، حديث أبي رمثة، برقم ١٢٢٧٩، ج١٩، ص٢٩٦. يفيد هذا الحديث الشريف أن من تعلّق بالقرآن حفظًا وتلاوةً وتدبرًا وعملاً، فقد نال شرف الانتساب إلى الله تعالى مجازًا، من حيث القرب والمنزلة، وهو تعبير بالغ في بيان فضل أهل القرآن ومكانتهم، حتى وُصفوا بأنهم "أهل الله وخاصته". كما ورد حديث آخر في هذا السياق، رواه الإمام البيهقي في السنن الكبرى، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال:«إنَّ عُمَّارَ بيوتِ اللهِ هم أهلُ اللهِ». إلا أن هذا الحديث ضعيف، بل قد اتُّفق على ضعفه، وقال فيه الإمام البخاري رحمه الله:"منكر الحديث". السنن الكبرى للبيهقي، باب فضل المساجد والصلاة فيها، برقم ٤٩٨٩، ج٣. وإذا أُطلق وصف "أهل الله" عند بعض أهل العلم أو المتصوفة، فالمراد به – بحسب السياق – "أولياء الله تعالى"، أي الذين اصطفاهم الله لولايته، وقربهم إليه بطاعته، وخصّهم بمعرفته ومحبته. ويؤيد هذا الفهم أن السياق الذي ورد فيه هذا اللفظ تضمن ذكر الأولياء قبل ذلك بقرابة أربعة أسطر، مما يدل على أن الشيخ إنما أراد بـ"أهل الله" أولياءه المقرّبين، لا عموم أهل الإسلام.

(١٧)هذه العبارة تُعدّ كناية بليغة تشير إلى حال من يتعرّض لأولياء الله تعالى بالذمّ أو الشتم أو الاعتراض عليهم، سواءً بقول أو فعل أو نيّة سيئة. والمعنى المراد منها: أنّ الطعن في أولياء الله يشبه تناول السمّ القاتل، فكلاهما يؤدي إلى الهلاك، غير أن الهلاك في الحالة الأولى معنويٌّ وأخرويٌّ، بينما هو حسّيٌّ في الحالة الثانية. فكما أن السمّ يفتك بمن يتجرّعه ويقضي عليه جسدًا، فإن الاعتراض على أولياء الله – ظلماً وعدواناً – يُعدّ سُمًّا روحيًّا وأخلاقيًّا يهلك قلب المعترض، ويورده موارد الخذلان والحرمان. ذلك أن أولياء الله محلّ محبته وموضع عنايته، وقد جاء في الحديث القدسي الصحيح:«من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب» رواه البخاري.

(١٨)"السادة" جمع "سيّد"، وهو لفظٌ رفيع متعدد المعاني في لسان العرب، تدور دلالاته حول الرفعة والسيادة والفضل، وقد يُطلق في اللغة على معانٍ عديدة، منها: الربُّ والمالك؛ لما فيهما من معاني السيطرة والتصرف. والشريف والفاضل؛ لتميزه في نسبه أو أخلاقه. والكريم والحليم؛ لصفاته العالية في الحلم والكرم. ومن يحتمل أذى قومه؛ لعظيم صبره واتساع صدره. والزوج؛ لما له من القوامة والمكانة. والرئيس والمقدَّم في القوم؛ لعلو منزلته القيادية والاجتماعية. وقد ورد استعمال هذا الجمع في القرآن الكريم في قوله تعالى:﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾ الأحزاب: ٦٧. وفيه دلالة على أن السادة هم المتبوعون في الأقوال والأفعال، والذين يُشار إليهم بالبنان لعلو مكانتهم الدنيوية، ولو كانوا في حقيقة الأمر مضلِّين. وقد أفاض ابن منظور في بيان معاني "السيد" في لسان العرب، حيث قال في مادة "س و د": "السيد: الرب، والمالك، والشريف، والفاضل، والكريم، والحليم، ومحتمل أذى قومه، والزوج، والرئيس، والمقدَّم...". لسان العرب، ج٢، ص٢٢٨.

(١٩)"النقشبندية" طريقة صوفية مشهورة، نُسبت إلى الإمام العارف بالله الشيخ محمد بهاء الدين نقشبند البخاري (ت ٧٩١هـ)، وهي من الطرق التي اتّسمت بعمق في التزكية، والتركيز على ذكر الله بالقلب. وأصل التسمية مأخوذ من "نقش بند"، وهي عبارة فارسية مركبة؛ فـ"النقش" يُراد به الصورة المنطبعة في الشيء كالنقش على الشمع، و"البند" بمعنى الربط أو التقييد، فيُفهم من ذلك أن المقصود "ربط النقش"، أي: ثبات الأثر وعدم محوه. وقد فسّر أهل الطريق هذه التسمية بخصوصية نُسِبت إلى الشيخ بهاء الدين نقشبند، حيث كان يُكثر من ذكر الله تعالى بالقلب دون تحريك اللسان، حتى انطبع لفظ الجلالة "الله" في قلبه، فصار أثر الذكر كالنقش الثابت الذي لا يُمحى، ومن هنا سُمِّيت الطريقة بـ"النقشبندية". انظر: المواهب السرمدية في مناقب النقشبندية، للشيخ محمد أمين الكردي الأربيلي الشافعي، ط. الأولى، سنة ١٣٢٩هـ، ص١٠. وعلى المستوى التاريخي، تعود الطريقة إلى محمد بهاء الدين نقشبند، الذي يُعد المؤسس الحقيقي لها، ومنه اشتُق الاسم. وقد كان للطريقة رواج كبير في العهد العثماني، إلى جانب الطريقة الخلوتية، التي تُعد من الطرق الروحية المتفرعة والمعاصرة لها. انظر: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، مصر، باب "الزهد والتصوف".

(٢٠تحدّث الإمام عبد الوهاب الشعراني رحمه الله عن منهج المريد الصادق في طريق السلوك إلى الله، مبينًا أن عليه أن يقلل من المباحات ما استطاع، وأن يحرص على أن يجعل أفعاله دائرةً بين امتثال مأمور أو اجتناب منهيّ، سواء في فعله أو تركه، وذلك أخذًا بالعزائم وتركًا للترخصات، تأديبًا للنفس وتربيةً للروح. وقد بيّن الشعراني أن هذا المسلك له أصل نبوي، إذ ثبت أن النبي ﷺ قد نهى بعض أهل بيته عن أمور مباحة في أصلها، إرادةً للأفضل، وترغيبًا في الأعلى. ومن ذلك ما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:«مَن لبس الحرير في الدنيا، لم يلبسه في الآخرة». صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة، برقم ٢٠٧٣، ج٣/ص١٦٤٥. وقد ورد في بعض الروايات أن هذا النهي وُجّه إلى فاطمة رضي الله عنها، مع أن الحرير والذهب مباحان للنساء شرعًا، إلا أن النبي ﷺ أراد لها مقامًا أرفع، ونقاءً أصفى في الزهد والتجرد. كما يُروى أن النبي ﷺ نهى عائشة رضي الله عنها عن الأكل في يوم واحد مرتين، وقال لها:«أَكْلَتَانِ في النَّهَارِ إِسْرَاف، والله لا يحب المسرفين». وهذا الحديث لم يثبت بسند صحيح، فقد رواه الإمام إسماعيل بن محمد العجلوني في كشف الخفاء ومزيل الإلباس عن عائشة بسند ضعيف، بلفظ:"أكلتان في يوم سرف". كشف الخفاء، برقم ٥١٨، ج١، ص١٩٧. كما روى الإمام الحاكم في شعب الإيمان عن عائشة رضي الله عنها، قالت:«رآني رسول الله ﷺ آكل في يوم مرتين، فقال: يا عائشة، اتخذتِ الدنيا بطنك؟ أكثر من أكلة في اليوم سرف، والله لا يحب المسرفين». وهذا الحديث أيضًا ضعيف الإسناد. شعب الإيمان، برقم ٥٢٧٨، ج٧، ص٤٥٨. ويُفهم من ذلك أن النبي ﷺ، وإن أباح لأمته الجمع بين الغداء والعشاء يوميًا، بل وكان يفعله في الغالب رحمةً بالضعفاء، إلا أنه كان يُرشد خواص أهل بيته إلى ترك المباح اختيارًا، تربية على الاقتصاد في العيش، وزهدًا في الدنيا. وقد اقتفى أهل السلوك هذا الأثر، فكانوا يوصون المريدين الصادقين بتقليل المباحات، والاقتصار على الضروري منها، لئلا تنفتح أبواب الغفلة على القلوب، ويُمنعوا من ترقّي المقامات. انظر: عبد الوهاب بن أحمد الشعراني، "لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية"، تحقيق: محمد السلام إبراهيم، ط. الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ٢٠٠٥م، ص ٧–٨.

([٢١])الطريقة في الاصطلاح الصوفي هي السلوك الروحي المنضبط الذي يُعنَى بتزكية النفس، وتطهير القلب، وتهذيب السلوك، عبر استبدال الأخلاق المذمومة بالفضائل المحمودة؛ بغية التقرب إلى الله تعالى ونيل رضاه، وتحقيق الوصول إليه بمعناه العرفاني. وقد عبّر عنها أهل التصوف بأنها الطريق الموصل إلى الله تعالى، تمامًا كما أن الشريعة هي الطريق الموصل إلى الجنة. غير أن "الطريقة" أخصُّ من الشريعة، من حيث إنها تتضمن الالتزام بأحكام الشريعة في ظاهر العمل، لكنها تضيف إليها البُعد الباطني من المجاهدة والمراقبة، والاجتهاد في الاستقامة والتخلية والتحلية، بما يجعلها طريقًا يجمع بين الظاهر والباطن. وقد أشار العلامة الملا محمد باقر البالكي إلى هذا المعنى بقوله: "الطريقة علم يبحث فيه عن كيفية تزكية النفس وتصفية القلب وتبديل الأخلاق السيئة بالحسنة، فيكون سببًا للقرب والرضا والوصول إليه تعالى". ينظر: التوفيق بين الشريعة والطريقة، ص١٢. كما ضبط محمد بن علي التهانوي (ت بعد ١١٥٨هـ) هذا المفهوم في كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، موضحًا أن الطريقة عند الصوفية ليست في تعارض مع الشريعة، بل هي مكمّلة لها من جهة التزكية والسلوك. ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج٢، ص١١٣٣.

([٢٢]) السُنَّة في اللغة تُطلق على السيرة والطريقة، سواء كانت حسنة أو قبيحة، وقد استُعملت عند العرب بمعنى المنهج الجاري أو الأسلوب المتّبع في الفعل أو القول. ينظر: مختار الصحاح لزين الدين الرازي، ص١٥٥. أما في الاصطلاح، فالسُنَّة هي: ما صدر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، مما لم يرد به نصٌّ صريح في الكتاب العزيز. وبذلك تكون السُنَّة مصدرًا مستقلاً من مصادر التشريع، إلى جانب القرآن الكريم، وتُستقى منها الأحكام الشرعية التفصيلية، وتُعدُّ مُبيّنَة ومُفَصّلَة لما أجملَه الكتاب. وقد ذكر هذا التعريف الإمام علي بن الحسن الأردبيلي التبريزي (٦٧٧–٧٤٦هـ) في كتابه الكافي في علوم الحديث، حيث قال:" السنة: قول النبي ﷺ، وفعله، وتقريره، مما لم ينطق به الكتاب العزيز صريحًا، ولذلك يقال: الأدلّة: الكتاب والسنة". ينظر: الكافي في علوم الحديث، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، دار الأثرية، عمّان، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ص١١٤.

([٢٣]) الشرع في اللغة مأخوذ من مادة (شَرَعَ)، وهي تدل على الفتح والامتداد والانكشاف في مسلك ظاهر. قال ابن فارس: "الشين والراء والعين أصل واحد، وهو شيء يُفتَح في امتدادٍ يكون فيه"، ومن هذا الأصل جاءت كلمة الشريعة، لأنها تُفْتَح للسالكين طريقًا واضحًا إلى المقصود، كما يُقال: "شرعت له الطريق" أي أوضحته ومهدته له. ينظر: معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس القزويني الرازي، ج٣، ص٢٦٢، باب "شرع"، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م. أما في الاصطلاح، فالشرع. أو الشريعة. هو النظام الإلهي الذي يُنَظِّم علاقة العبد بربه وبغيره من الخلق، ويُعينه على تحقيق الغاية من وجوده. وقد عُرّفت الشريعة بأنها: الائتمار بالتزام العبودية، أي الانقياد التام لأوامر الله تعالى ونواهيه. وقيل أيضًا: هي الطريق في الدين، أي المنهج الرباني الذي يسلكه المكلف لتحقيق مرضاة الله والفلاح في الدارين. ينظر: التعريفات لعلي بن محمد الجرجاني، ص١٢٧، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م). وهذا المعنى يُبرز أن الشريعة ليست مجرد أوامر ونواهٍ ظاهرية، بل هي طريق كامل في الحياة، يجمع بين العقيدة والعمل، والظاهر والباطن، في إطار من العبودية الشاملة لله تعالى.

(٢٤) الواجب مشتق من الفعل "وَجَبَ"، وهو يدل على الثبوت أو السقوط بحسب السياق. يقال: وجب البيع أو الحق، أي ثبت ولزم، ويقال: وجب الحائط، أي سقط. وقد ورد هذا المعنى في قوله تعالى:﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ الحج: ٣٦، أي سقطت الأنعام على جنوبها بعد النحر، دلالةً على تمام الذبح. ينظر: الفيومي، المصباح المنير، ج٢، ص٦٤٨؛ والفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج١، ص١٤١. فالجذر اللغوي يفيد لزوم الشيء ووقوعه على وجه الحتم والقطع، وهو ما يلائم المعنى الاصطلاحي للواجب باعتباره أمراً لازماً لا يُترك إلا مع المؤاخذة. الواجب شرعًا هو: ما يثاب فاعله، ويعاقب تاركه. وهو بهذا المعنى يشير إلى أعلى درجات التكليف الشرعي من حيث الإلزام، إذ يُلزم الشارعُ المكلّفَ بفعله، ويترتب على تركه استحقاق العقوبة. ويُفرّق بين الواجب والمندوب – وإن اشترك كلٌّ منهما في أن فاعلهما يُثاب – بأن الواجب يُعاقب تاركه، بخلاف المندوب. وقد صاغ هذا التعريف بدقة الإمام أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء (ت ٤٥٨هـ) في كتابه العدة في أصول الفقه، حيث قال:" الواجب: ما في فعله ثواب، وفي تركه عقاب. ولا يُحتاج إلى ذكر الثواب؛ لأن الندب فيه ثواب. وإنما يُبيَّن الواجب عن المستحب والمباح، بما في تركه من العقاب". ينظر: العدة في أصول الفقه، ج١، ص١٥٩، تحقيق: د. أحمد بن علي المباركي، ط٢، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

([٢٥])ذهب جمهور أهل العلم إلى أن صلاة التوبة مشروعة، وهي من السنن الثابتة عن النبي ﷺ، وقد وردت بذلك أحاديث متعددة من طرق صحيحة، تدل على استحبابها لمن وقع في الذنب، واستشعر الحاجة إلى التوبة النصوح، مقرونة بأعمال القلوب والجوارح. ومن أبرز ما استُدل به حديث الإمام أبي داود في سننه، من رواية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حيث قال:"كنتُ رجلًا إذا سمعتُ من رسول الله ﷺ حديثًا نفعني الله منه بما شاء أن ينفعني، وإذا حدّثني أحدٌ من أصحابه، استحلفتُه، فإن حلف لي صدّقته. وقد حدّثني أبو بكرٍ وصدّق أبو بكرٍ،

قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: ما من عبدٍ يُذنب ذنبًا، فيُحسن الطهور، ثم يقوم فيصلي ركعتين، ثم يستغفر الله، إلا غفر الله له. ثم قرأ هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ﴾ آل عمران: ١٣٥ إلى آخر الآية." وقد رواه الإمام أبو داود في سننه، في "باب في الاستغفار"، وقال عنه أهل الحديث: إسناده حسن، ورقمه (١٥٢١)، ج٢، ص٨٦. وهذا الحديث صريح في مشروعية صلاة التوبة، إذ علّق النبي ﷺ مغفرة الذنب بفعل هذه الصلاة، مع حسن الطهور والاستغفار، وهو دليل بيّن على أنها سنة، بل من أعظم الوسائل العملية للتوبة النصوح، تجمع بين طهارة الظاهر والباطن، وخضوع القلب، وعمل الجوارح.

([٢٦]) وهو كتاب : جامع الأصول في ألأولياء الطرق الصوفية، للسيد أحمد النقشبندي الخالدي.

(٢٣) ولد العلّامة أحمد بن مصطفى بن عبد الرحمن الكُمُشْخَانَوي سنة ١٢٢٧هـ / ١٨١٢م في بلدة كُمُشْخَانة التابعة لإيالة طرابزون، ونشأ في كنفها وتلقى بها أوائل تعليمه. ثم رحل إلى إسطنبول طلبًا للعلم، حيث استكمل دراسته، واستقر به المقام هناك حتى وفاته. وقد توفي رحمه الله يوم السابع من ذي القعدة سنة ١٣١١هـ، الموافق لـ ١١ مايو سنة ١٨٩٤م، ودفن في مدينة إسطنبول، في مقبرة السلطان، قبلي باب ضريحة. يُنظر: عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج٢، ص١٧٨.

([٢٨]) هو الشيخ خالد بن أحمد بن الحسين النقشبندي، ينتسب إلى الطريقة النقشبندية، وهي من كبرى الطرائق الصوفية ذات الامتداد العلمي والسلوكي، ويُروى عنه أنه من ذرية الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، مما أضفى على مكانته الروحية والعلمية مزيدًا من الاعتبار في أوساط أهل التصوف والعلم. ولد الشيخ خالد في قصبة قرداغ التابعة لبلاد شهرزور، وهي منطقة ذات تاريخ علمي وصوفي عريق. وقد تلقى العلم والتزكية على يد مشايخ عصره، ثم اشتهر في الآفاق بنشر الطريقة النقشبندية ومبادئها التربوية. وقد توفي في بلاد الشام سنة ١٢٤٢هـ / ١٨٢٦م، بعد أن خلّف أثرًا علميًا وروحيًا بالغًا في أتباعه ومريديه. ينظر: مجلة لغة العرب العراقية، أنستاس الكرملي، بإشراف كاظم الدجيلي، وزارة الإعلام – الجمهورية العراقية، مطبعة الآداب – بغداد، ج٩، ص٦١٨.

([٢٩])من أبرز الشروح التي أُلفت على الرسالة الوَلَدِيّة للإمام أبي حامد الغزالي، شرح الإمام العلاّمة محمد بن محمد بن مصطفى بن عثمان، المعروف بأبي سعيد الخادمي، وهو من أعلام الفقهاء الأصوليين في المذهب الحنفي. ينحدر نسبه من بخارى، وولد سنة (١١١٣هـ)، وتوفي في قرية "خادم" التابعة لمدينة قونية. تلقى العلم عن والده وعن غيره من العلماء، واشتهر تدريسه في جامع آيا صوفيا بإسطنبول، لاسيما درسه الشهير في تفسير سورة الفاتحة، مما أكسبه شهرة علمية واسعة. للإمام الخادمي مؤلفات جليلة تدل على سعة علمه وعمق فكره، من أبرزها:"مجمع الحقائق"، وهو من أمهات الكتب في أصول الفقه عند الأحناف. و"شرح الرسالة الوَلَدِيّة للغزالي"، وهو عمل علمي رصين يُظهر تمكنه من علم الكلام والتهذيب الروحي. وقد وردت ترجمته في مصادر موثوقة، منها:"الأعلام" لخير الدين الزركلي ج٧، ص٦٨، ط. دار العلم للملايين. و"الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة"، إعداد وليد الزبيري وآخرين، ط. مجلة الحكمة، مانشستر، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ج٣، ص٢٤٣.

([٣٠])الاستخارة في اللغة مأخوذة من مادة "خَيَرَ"، وهي طلب الخِيَرة، أي طلب ما فيه الخير في الأمور المشتبهة على الإنسان. جاء في مختار الصحاح لزين الدين الرازي (ت ٦٦٦هـ): "الِاسْتِخَارَةُ: طَلَبُ الْخِيرَةِ، يُقَالُ: اسْتَخِرِ اللَّهَ يَخِرْ لَكَ" (ص: ٩٩)، أي اطلب من الله أن يختار لك ما هو أصلح. أما في الاصطلاح، فهي صلاة يُؤديها المسلم عندما يُقبل على أمرٍ يتحير فيه، ولا يدري وجه الصواب فيه. وهي ركعتان من غير الفريضة يُصلّيهما بنيّة الاستخارة، ثم يدعو بالدعاء المأثور عن النبي ﷺ. وقد انعقد إجماع الفقهاء –ومنهم أئمة المذاهب الأربعة– على استحبابها، واستدلوا لذلك بحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال:" كان رسول الله ﷺ يُعلّمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يُعلّمنا السورة من القرآن، يقول: إذا همَّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل..." إلى آخر الحديث. رواه البخاري وغيره. وقد نقل الإمام النووي (ت ٦٧٦هـ) هذا الاتفاق في كتابه المجموع شرح المهذب، حيث قال: "اتفق أصحابنا وغيرهم على أنها سنة" (ج٤، ص٥٤، ط. إدارة الطباعة المنيرية، تصوير: دار الفكر). ويُستفاد من هذا أن الاستخارة تمثل صورة من صور التوكل العملي على الله تعالى، وهي عبادة تجمع بين الصلاة والدعاء والتفويض، وتُجسّد المقام العبودي الحق في طلب الهداية لما فيه الخير في الدنيا والآخرة.

([٣١])نقل الشيخ محمد مظهر، في كتاب جامع الأصول في الأولياء وطرائق الصوفية عن الشيخ أحمد ضياء الدين، في سياق شرحه لرسالة الإمام الخادمي، تفصيلًا دقيقًا لمنهج التلقين الصوفي، في فصلٍ خصّصه لـ تلقين المريد وتثبيته، حيث قال:"وفي شرح رسالة الخادمي، وكيفية التلقين بعد ثبوت صدق المريد: أن يأمر الشيخُ بالإستخارة، ويأمر المريد أيضًا بالاستخارة، فإن وافقت استخارتهما، أُمر المريدُ بأن يغتسل غُسل التوبة، ثم يصلي ركعتين بنية التوبة، ثم يتصدق بصدقة. بعد ذلك، يحضر عند الشيخ، فيُجلِسه بين يديه، ويُلصق ركبتيه بركبتيه، ثم يأخذ الشيخ بيده

اليمنى يدَ المريد – كهيئة المصافحة – ويُستتيبه من جميع الذنوب والمخالفات التي ضيّع بها عمره. ثم يأخذ عليه العهد: على الاستحلال من أصحاب الحقوق، وردّ المظالم، واسترضاء الخصوم، وعلى الالتزام بمتابعة السنّة، والتقيد بالعزيمة، والاجتناب (عن المخالفات والبدع)". المصدر: السيد أحمد النقشبندي الخالدي، جامع الأصول في الأولياء وطرائق الصوفية، تحقيق: أديب نصر الله، بيروت: المؤسسة العربية للانتشار، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، ج١، ص٩١.

(٣٢) اقتبس الشيخ كلامه استنادًا إلى قوله تعالى في سورة النور:﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾ النور: ٣٥، وذلك لتجلية معنى النور الإلهي المتعالي، الذي لا تحيط به النار ولا تحرقه، بل يزداد صفاءً وتألقًا، إذ النور هنا مضاعف: نور الفطرة والهداية، يُضيء بنور الوحي والإيمان، فيكون "نورًا على نور". وهذا الاقتباس يوظف الآية في سياق بياني عميق يُبرز مدى تأييد الله لعباده بنور الهداية الربانية، التي لا تُنال إلا لمن شاء الله له التوفيق والاصطفاء.

(٣٥) الإمام الرباني، العارف الصوفي الكبير، الزاهد الرباني أحمد الفاروقي السرهندي – رحمه الله – يُعد من أعلام السلوك الروحي والتجديد الديني في الهند، ومن أبرز شيوخ الطريقة النقشبندية. وُصف بلقب "الإمام الرباني" لما كان عليه من علوّ المنزلة، وسعة العلم، ونفاذ البصيرة. كان – رحمه الله – شديد التمسك بسنة النبي الأعظم ﷺ، حريصًا على تطبيقها في أدق تفاصيل حياته؛ في الصغيرة والكبيرة، والظاهر والباطن، ولم يقتصر على العمل بها، بل كان شديد الوصية للناس باتباعها، داعيًا إلى الالتزام بها في جميع الأحوال، باعتبارها النبراس الهادي إلى مرضاة الله تعالى. وقد ترك أثرًا بالغًا في مسيرة التصوف السنّي، حيث مثّل تيارًا إصلاحيًا داخليًا أعاد فيه التوازن بين الشريعة والطريقة، وبيّن أن طريق القرب إلى الله لا يكون إلا من خلال تعظيم السنّة وتقديمها على كل ما سواها من الأذواق والمواجيد. توفي رحمه الله سنة ٩٧٢هـ، وخلّف تراثًا علميًا وروحيًا عظيمًا. ينظر: أبو الحسن الندوي، الإمام الرباني، كيشمي، بركات أحمدية، ص ٣٠٠–٣١٥، ١٧٤–١٧٩. وبدر الدين السرهندي، وصال أحمدي، الناشر: غلام مصطفى خان، كراتشي، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، ص ٦، ١٢، ٢٦.

(٣٤) أي بعد التوبة.

(٣٥) أجمع جمهور العلماء على أن التوبة من الذنب واجبة على الفور، ولا يجوز تأخيرها أو التساهل فيها، لما فيها من امتثال لأمر الله، وسعي إلى تطهير النفس، وسدٍّ لباب الاستمرار في المعصية. وقد قرر هذا الحكم الإمام النووي – رحمه الله – بوضوح، فقال:" قال العلماء: التوبة واجبة من كل ذنب، فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى، لا تتعلّق بحقّ آدمي، فلها ثلاثة شروط: أحدها: الإقلاع عن المعصية. والثاني: الندم على فعلها. والثالث: العزم على ألّا يعود إليها أبدًا. فإن فُقد أحد هذه الثلاثة، لم تصحّ توبته". وهذا النقل يدل على أن صحة التوبة مشروطة بتحقق هذه الأركان الثلاثة: الإقلاع، والندم، والعزم، فليست التوبة مجرد قول أو رغبة، بل هي موقف قلبي وعملي ينبني على انكسار النفس أمام الله، وتجديد العهد معه على الطاعة. وقد نقل الإمام ابن الديبع الشيباني – رحمه الله – الإجماع على هذا المعنى، فقال:" وأجمع العلماء على أن التوبة واجبة من كل ذنب"، مشيرًا بذلك إلى أن وجوب التوبة ليس محل خلاف بين أهل العلم، بل هو أصل من أصول الدين، وشرط لا غنى عنه للفوز برضا الله والجنة. انظر: الإمام النووي، رياض الصالحين، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م، ص ٣٣. وابن الديبع الشيباني (ت ٩٤٤هـ)، مكفّرات الذنوب وموجبات الجنة، تهذيب وزيادة: عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، ص ٢٧.

(٣٦) ينص العلامة سليمان البُجيرمي – رحمه الله – في حاشيته على شرح الخطيب على حكم بالغ الأهمية يتعلّق بتقديم إنقاذ الأرواح والهداية على الانشغال بالعبادات الفردية، فيقول:" ويجب عليه قطع الصلاة إذا كان محرما بها إذا سأله أن يلقنه الشهادة قياسا على إنقاذ الغريق بل هذا أعظم لأن فيه إنقاذا من الخلود في النار كما قرره شيخنا العلامة العزيزي، وأما إذا جاءه شخص ليتوب فأمره بالتأخير فإنه يحرم عليه لأن التوبة من الذنب واجبة في الحال". فقد قاس البجيرمي – رحمه الله – وجوب تلقين الشهادة لمن يُوشك أن يُقبض على وجوب إنقاذ الغريق، بل جعله أعظم شأنًا، نظرًا لكونه إنقاذًا من الهلاك الأبدي، لا من الهلاك الدنيوي فقط. وهذا من دقائق الفقه التي تراعي المقاصد العظمى، وفي مقدمتها حفظ الدين والنفس. ثم أردف في السياق ذاته ببيان أن من جاء إليه شخص راغبًا في التوبة، فأمره بتأخيرها، فإنه يكون آثمًا، لأن التوبة من الذنب واجبة في الحال، ولا يجوز التسويف بها، وهذا الحكم ينسجم مع ما قرره جمهور العلماء من وجوب التوبة الفورية. ينظر: سليمان بن محمد البجيرمي (ت ١٢٢١هـ)، تحفة الحبيب على شرح الخطيب = حاشية البجيرمي على الخطيب، دار الفكر، ج١، ص٢٥٤، ط. ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

(٣٧) المقصود بلقب "شاه" في هذا السياق هو الغوث الأعظم، الشيخ محمد بن محمد بهاء الدين الشاه نقشبند الأُوَيْسي البخاري – قدس الله سره – أحد أعلام السلوك الروحي ورجالات الطريقة النقشبندية. ولد – رضي الله عنه – في شهر المحرم الحرام سنة ٧١٧هـ، في بلدة تُعرف بـ "قصر

العارفان"، وهي إحدى قرى مدينة بخارى، وتقع على بُعد فرسخ منها. وجدير بالذكر أن لفظ "العارفان" يحتوي على الألف والنون الدالتين على الجمع في اللغة الفارسية. انظر: عبد المجيد بن محمد الخاني، الحدائق الوردية في حقائق أجلاء النقشبندية، ص١٨٠.

(٣٨))نقل الشيخ عن مواهب السرمدية هذا النص العميق الذي يصف به الغوث الأعظم، الشاه نقشبند قدس الله سره، اللحظة المفصلية في سيره إلى الله تعالى، حيث قال:" مبتدأ يقظتي وتوبتي أني كنت جالسًا مع صاحبٍ لي في خلوة، وبينما أنا ملتفتٌ إليه أكلّمه، إذ سمعت مناديًا يقول لي: أما آن لك أن تُعرض عن الكل وتتوجه إلى حضرتنا؟ فاستولى عليّ من سماع هذا الخطاب حالٌ عظيم، فخرجت مسرعًا من ذلك الموضع لا يستقر لي قرار، وكان قريبًا منه ماء، فاغتسلت فيه وغسلت ثيابي. وفي تلك الحال من الإنابة، صليت ركعتين طالما مضت عليّ أعوام أتمنى أن أصلي مثلهما، فلم أُوفق إلى مثلهما من قبل". هذا النص يجسّد لحظة التحوّل الروحي الكبرى في حياة الشاه نقشبند، ويظهر أثر الإلهام الإلهي الذي حرّك قلبه من الغفلة إلى التوبة، ومن الانشغال بالخلق إلى التوجه الصادق إلى الحق. وتدل كلماته على تجربة وجدانية عالية، تُبرز عمق التفاعل الروحي، وانكسار النفس بين يدي الله، وتُظهر أثر التوبة الخالصة حين تقع في موقعها الصادق من القلب. المصدر: عبد المجيد بن محمد الخاني، الحدائق الوردية في حقائق أجلاء النقشبندية، ص١٨١.

(٣٩) ومقصد الشيخ من هذا الكتاب هو الإشارة إلى كتاب "نُزُل الأبرار بالعلم المأثور من الأدعية والأذكار"، الذي ألّفه علّامة عصره، السيد محمد صِدّيق حسن خان – رحمه الله –، أحد كبار العلماء في مملكة بَهُوپال، وممن عُرف بسعة العلم، وعلو الكعب في التأليف والتحقيق. وقد جمع في هذا المصنّف جملة من الأدعية والآثار الواردة، مع تحقيق دقيق وانتقاء من النصوص المأثورة، فكان مرجعًا جامعًا بين الصحة الشرعية والتذوق الروحي، مما جعله مقصدًا للعارفين والسالكين، وموضع عناية العلماء والمهتمين بعلوم الأدعية والأذكار.

(٤٠) آل عمران: ١٣٥.

(٤١)الحديث الذي ورد في شأن صلاة التوبة قد رواه جملة من أئمة السنن والمسانيد، بأسانيد حسنة، مع اختلاف يسير في ألفاظه، وقد تضمن في بعض الروايات زيادة في ذكر "الركعتين". فقد رواه: الإمام النسائي في السنن الكبرى (٥١/١٠، رقم ١١٠١٢) في "باب قوله تعالى:﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾". وأبو داود في سننه (٥٦١/١، رقم ١٥٢١) في "باب الاستغفار"، بإسناد حسن. والترمذي في سننه (٤٣١/١، رقم ٤٠٦) في "باب ما جاء في صلاة التوبة"، وقال: حديث حسن. وابن ماجه في سننه (رقم ١٣٩٥، ص ٤٠٣) في "باب ما جاء في الصلاة الكفارة". وابن السني في كتاب عمل اليوم والليلة (ص ٣١٦، رقم ٣٥٩) في "باب ما يقول إذا أذنب ذنبًا". كما رواه الأمير ابن بلبان الفارسي في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٣٠٩/٢)، بإسناد حسن، مع ذكر زيادة "الركعتين". وابن خزيمة في صحيحه (٥٩٥/١)، في "باب ذكر الأخبار المنصوصة"، ووردت فيه كذلك زيادة لفظ "الركعتين". وقد اتفقت هذه الروايات على المعنى العام، مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ، مما يعزّز ثبوت الحديث ويقوّي مشروعية صلاة التوبة على ضوء ما ورد من طرق متعددة معتبرة.

(٤٢)لم يُعثر على هذا الحديث في كتب السنن الأربع المشهورة بصيغته المشار إليها، غير أن الشيخ نقله في كتاب " نُزول الأبرار بالعلم المأثور من الأدعية والأذكار"، في "باب أذكار صلاة التوبة". وقد بيّن أن هذه الصلاة لم ترد ضمن كتب الأذكار المشهورة صراحة، غير أنها مذكورة عند الإمام ابن الجزري رحمه الله تعالى في كتابه "الحصن الحصين"، ونسبها إلى حديث ورد عن أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه. ونصّ الحديث كما رواه: قال أبو بكر رضي الله عنه: "سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: ما من رجلٍ يُذنب ذنبًا، ثم يقوم فيتطهر، ثم يُصلّي، ثم يستغفر الله، إلا غفر الله له،" ثم تلا قوله تعالى:﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ...﴾ آل عمران: ١٣٥. وقد رواه: الإمام أبو داود في سننه (٦٣٠/٢، رقم ١٥٢١) عن علي بن ربيعة الأسدي، بإسناد حسن. والإمام ابن ماجه في سننه، ص ٣١٦، رقم ١٣٩٥. عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، بإسناد حسن كذلك. أما مصدر النقل المعتمد في النص، فهو كتاب "نُزول الأبرار" للإمام السيد محمد صديق حسن خان القنوجي، ط. الثانية، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ص ٣٦. ويُستفاد من مجموع هذه الروايات أن صلاة التوبة مشروعة بدليل الحديث، وأنها تُشرع عقب الذنب، لمن قام فتطهّر وصلى واستغفر، كما دلّت عليه الآية الكريمة، وعضدته الأحاديث الصحيحة بأسانيد حسنة، وإن لم تكن مذكورة بعنوان "صلاة التوبة" في بعض كتب الأذكار.

(٤٣) تُحدَّد الاغتسالات المسنونة في مذهب الإمام أبي حنيفة بأربعة مواضع، كما قرر ذلك العلامة الفقيه حسن بن عمار الشرنبلالي الحنفي (ت ١٠٦٩هـ) في كتابه مراقي الفلاح شرح متن نور الإيضاح. فقد نصّ في المتن بقوله:" فصل: يُسنّ الاغتسال لأربعة أشياء"، وبيّنها على النحو الآتي: غسل الجمعة، وهو المسنون عنده على القول الصحيح. وغسل العيدين، أي لصلاة عيد الفطر وعيد الأضحى. وغسل الإحرام، سواء للحج أو العمرة، تأسّيًا بفعل النبي ﷺ. وغسل الوقوف بعرفة للحاج، وهو من مناسك الحج الظاهرة. أما غسل التائب من الذنب، فلا يُدرج ضمن

المسنونات عند الحنفية، بل يُعدّ من الندوبات، نظرًا لما تقرر عندهم من التفريق بين مصطلحي السنة والندب. ولهذا جاء في كلام الشرنبلالي في موضع آخر:"فصل: ويُندب الاغتسال في ستة عشر موضعًا"، وذكر منها:"للتائب من ذنب"، مما يدل على إلحاقه بالمرغوبات لا بالمؤكدات. انظر: حسن بن عمار بن علي الشرنبلالي، مراقي الفلاح شرح متن نور الإيضاح بتصريف، المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م، ج ٤٧، ص ٤٩.

(٤٤) إن مراد الشيخ بمذهبنا هنا هو مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه.

(٤٥) إن كتب الشافعية حافلة بالنصوص التي تؤكد استحباب الغُسلات المسنونة، ومن أبرز مصادر ذلك: التهذيب في فقه الإمام الشافعي للبغوي (ج١، ص٣٢٧)، وكفاية النبيه في شرح التنبيه لابن الرفعة (ج٢، ص٦٤)، وفتح القريب المجيب لمحمد بن قاسم الغرابيلي (ص٤٤)، وغيرها من كتب المذهب.

(٤٦) يقصد الشيخ بكتاب شرح التحرير شرحًا لمتن فقهي مختصر، أصوله في كتاب تنقيح اللباب للإمام أبي زرعة العراقي، الذي أُعِدّ وأُجمل على يد الإمام أبي زكريا الأنصاري، حيث اختصره وهذّاه بأسلوب يسير واضح، وأطلق عليه اسم تحرير تنقيح اللباب في فقه الإمام الشافعي. وبعد ذلك شرّح الأنصاري هذا المتن المختصر، فأسماه تحفة الطلاب بشرح تحرير تنقيح اللباب في فقه الإمام الشافعي، وهو شرح جامع ومعتمد في مذهب الإمام الشافعي. انظر: زكريا بن محمد الأنصاري، تحرير تنقيح اللباب في فقه الإمام الشافعي، الطبعة الأولى، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ص٦).

(٤٧) جاء في المخطوطة كلمة (قاضي) هكذا بدون الألف واللام والصحيح (القاضي) هكذا بالألف واللام لأن صفة تابع للموصوف في تعريفه وتنكيره.

(٤٨) هو الامام شرف الدين بن زين العابدين بن محيي الدين ابن ولي الدين بن جمال الدين بن زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري، السنيكي، المصري الشافعي. محدث، فقيه، مؤرخ. ولد سنة ١٠٣٠ هـ تقريبا، وتوفي بالقاهرة في رجب ودفن بالقرافة. من مؤلفاته العديدة: الطبقات ذكر فيها شيوخه وعلماء عصره. ينظر: عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج٤/ ص٢٩٧.

(٤٩) هو الصحابي قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر، والذي يُنسب إليه لقب "المنقري"، هو أحد وفود بني تميم الذين قدموا إلى النبي ﷺ فأسلموا على يديه. عُرف هذا الصحابي بمكارم الأخلاق وسموّ الخلق، وقد توفي في السنة السابعة والأربعين من الهجرة النبوية. انظر: مجير الدين العليمي عبد الرحمن الحنبلي، التاريخ المعتبر في أنباء من غبر، تحقيق ودراسة لجنة مختصة، إشراف نور الدين طالب، دار النوادر، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ – ٢٠١١م، ج٣، ص٣٧٣).

(٥٠) روى الإمام أبو عيسى محمد الترمذي في سننه حديثًا بإسناد حسن (رقم ٦٥٠، الجزء الأول، ص٥٩٥)، وقد صححه الإمام أبوحاتم محمد بن حبان في صحيحه (رقم ١٢٤٠، باب ذكر استحباب غسل الكافر إذا أسلم بماء وسدر، الجزء الرابع، ص٤٥). هذا الحديث يشير إلى استحباب غسل الكافر إذا أسلم، وذلك باستخدام الماء والسدر، وهو من النصوص التي تدل على أهمية الطهارة والاغتسال في الإسلام مع دخول الشخص في الدين.

(٥١) هذا هو النص الذي نقله الشيخ في شرح التحرير لإثبات سُنِّية الغسل للتائب من الذنب، حيث يقول:« الغسل يُعدّ إسلامًا للكافر خالياً عن حدث أكبر، لأنه أمر به الصحابي قيس بن عاصم عندما أسلم، وقد رواه الترمذي وحسنه، وصححه ابن حبان، وحملوه على الاستحباب؛ وذلك لأن كثيرًا من الناس أسلموا ولم يُؤمروا بالغسل، ولأن دخول الإسلام بمثابة ترك المعصية، فلا يلزم معه الغسل كما هو الحال في التوبة من سائر الذنوب». انظر: زكريا بن محمد الأنصاري، تحفة الطلاب بشرح متن تحرير تنقيح اللباب، ج١، ص٢٢.

(٥٢) المراد بهذا الكتاب هو حاشية الشرقاوي، للإمام الشيخ عبد الله بن حجازي بن إبراهيم الشافعي الأزهري، المتوفى سنة ١٢٢٦هـ، وهي حاشية نفيسة وضعها على كتاب تحفة الطلاب بشرح تحرير تنقيح اللباب، للإمام شيخ الإسلام أبي يحيى زكريا الأنصاري، أحد أعلام المذهب الشافعي وأئمته المتقدمين.

(٥٣) قوله:"ترك معصية"، أي: الكفر، فقد عُبّر عنه بكونه معصية من أعظم المعاصي. وقوله:"كالتوبة من سائر المعاصي"، أي: أن التوبة، سواء كانت من الكفر أو من غيره من الذنوب، لا يترتب عليها وجوب الغسل، بل يُسن، والراجح أن الاغتسال يكون بعد التوبة، إذ إن التوبة نفسها واجبة على الفور، فلا يجوز تأخيرها لانتظار الطهارة. وكذلك يُستحب للمتوب أن يصلي ركعتين عقب توبته، والظاهر أنهما تقامان بعد التوبة

أيضًا، لا قبلها، لكون الصلاة عبادة لاحقة لحال التطهر المعنوي، وقد كرر هذا المعنى شيخنا عطية في مواضع متعددة. انظر: المصدر السابق، جـ...، ص١٩٠.

(٥٤) روى الإمام الترمذي في سننه حديثًا صحيح الإسناد عن الصحابي قيس بن عاصم، تحت باب: "باب في الاغتسال عند إسلام الرجل"، وذلك برقم: ٦١١. وجاء نص الحديث بلفظ:«أنه أسلم، فأمره النبي ﷺ أن يغتسل بماء وسدر». ج٢.

(٥٥) ثمامة بن أُثال بن النعمان بن مسلمة بن عتبة بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدؤل بن حنيفة، اليمامي، من بني حنيفة، ويكنى بأبي أُمامة. وهو من الصحابة الذين أسلموا في عهد النبي ﷺ بعد واقعة مشهورة، وقد ورد حديثه في صحيح البخاري، من رواية سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: بعث النبي ﷺ خيلًا قِبَل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة يُقال له ثمامة بن أُثال، فربطوه في سارية من سواري المسجد. فخرج إليه النبي ﷺ وقال: «أطلقوا ثمامة»، فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل، ثم دخل المسجد وقال: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله». انظر: أحمد بن علي المقريزي، إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ج١٤، ص٢٥٦. وأحمد بن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ، ص٥٢٥.

(٥٦) أخرج الإمام مسلم في صحيحه برقم: ١٧٦٤، في "باب ربط الأسير وحبسه وجواز المنّ عليه"، من كتاب الجهاد والسير، حديثًا يتضمن قصة إسلام ثمامة بن أثال رضي الله عنه. وجاء في الحديث: أن رسول الله ﷺ قال:«أطلقوا ثمامة»، فانطلق إلى نخيل قريب من المسجد، فاغتسل، ثم دخل المسجد. يدل هذا الحديث على جواز المنّ على الأسير دون فداء، ويُستفاد منه أن الغسل عند الدخول في الإسلام من السنة؛ إذ بادر ثمامة إلى الاغتسال قبل دخوله المسجد والإعلان بإسلامه، فكان ذلك من مظاهر الطهارة والاستعداد الروحي لهذا التحول العظيم.

(٥٧) من الأغسال المسنونة في الشريعة الإسلامية: غُسل الكافر إذا أسلم. وقد ورد أن النبي ﷺ أمر قيس بن عاصم، وثمامة بن أثال رضي الله عنهما، بالاغتسال حين أسلما. إلا أن هذا الغسل لم يكن على جهة الوجوب، بدليل أن جماعة من الصحابة دخلوا في الإسلام، ولم يأمرهم النبي ﷺ بالاغتسال، مما يدل على أن الأمر للندب لا للإلزام. ووجه ذلك أن الإسلام يُعد توبة عامة تهدم ما قبلها من الذنوب والمعاصي، ولا يُوجب الغسل كما لا يُوجب سائر المعاصي إذا تُركت بالتوبة. ويُفهم من هذا أن الكلام منصبٌّ على الكافر الذي لم يُصب جنابة حال كفره؛ لأن الجنب يُلزم بالغسل في حال إسلامه، بخلاف من لم يكن كذلك.

(٥٨) ذكر الإمام البكري الشافعي (ت ١٣١٠هـ) في إعانة الطالبين، أن سبب عدم وجوب الغسل على من أسلم، هو أن الإسلام بمثابة تركٍ للمعصية، والتوبة من الذنب لا يُشترط فيها الغسل، بل يُستحب فقط. وقد استدل على ذلك بأن كثيرين أسلموا في زمن النبي ﷺ، ولم يأمرهم بالغُسل، فدلّ ذلك على أن الغسل للإسلام ليس واجبًا، وإنما هو سنة مؤكدة، يُقصد بها التطهر الظاهري مواكبة للطهر الباطني.

(٥٩) يُراد في هذا الموضع بيان مشروعية صلاة التوبة، وكونها من السنن المستحبّة في الشريعة الإسلامية. وقد دلت على مشروعيتها أحاديث نبوية صحيحة، منها ما رواه الإمام أحمد في مسنده بسند صحيح عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال:« ما من عبد يُذنب ذنبًا، فيقوم فيتوضأ، ثم يُصلي ركعتين، ثم يستغفر الله، إلا غفر الله له». أخرجه الإمام أحمد (١/١٧٩، ج٢/ص١٧٩)، وهو حديث صحيح الإسناد. وقد رواه أيضًا جمع من أهل الحديث بأسانيد متقاربة المعنى، منهم: الحميدي في مسنده (رقم ٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢/٣٨٧)، وابن ماجه في سننه (١٣٩٥)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة، والبزار، وأبو يعلى، والطبري في تفسيره (٤/٩٦)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٤١٥)، والطبراني في الدعاء (١٨٤٢)، وغيرهم، كلّهم عن وكيع أو عن مسعر أو سفيان، مما يعزّز ثبوت الحديث بمجموع طرقه. ويُفهم من هذه الروايات أن صلاة التوبة تتحقّق بتحقيق ثلاثة عناصر مترابطة: الذنب، ثم الوضوء، ثم الصلاة والاستغفار، وهو نسقٌ تعبّدي يُثاب عليه المسلم، ويُرجى به القبول والمغفرة. وقد نصّ فقهاء الشافعية على استحباب هذه الصلاة، كما قرر ذلك العلامة زكريا الأنصاري في كتابه تحفة الطلاب بشرح تحرير تنقيح اللباب، واستدلّ فيه بهذه الأحاديث وغيرها. وقد خرج أحاديث هذا الباب وعلق عليها الشيخ صلاح بن محمد بن عويضة، في الطبعة الصادرة عن دار الكتب العلمية – بيروت، ص٧٥.

(٦٠) روى الإمام أبو داود في سننه برقم: ١٥٢١، في "باب الاستغفار"، ج٢/ص٦٣٠، حديثًا بإسناد حسن، وجاء فيه لفظ: «ما من عبد...»، دون ورود كلمة «ليس» في نص الرواية. وكذلك الإمام الترمذي، أخرج الحديث في سننه، برقم: ٣٠٠٦، في الباب ذاته، "باب الاستغفار"، ج٥/ص٢٢٨، وجاءت روايته موافقة لرواية أبي داود، من حيث اللفظ، دون ذكر كلمة «ليس»، وإنما جاء فيها:«ما من عبد...».

(٦١) قوله:"وصلاة التوبة" المراد بها ركعتان تُصلَّيان قبل التوبة أو بعدها، ويُجوز فعلها قبل التوبة ليُتحقق بها البركة في التوبة، أي تحقيق الخروج من الذنب. وإذا كان الخروج من الذنب واجبًا فورًا، فإن الصلاة باعتبارها من متعلقاته لا تُضرّ في الفورية، بل تُكملها. وبذلك يُجاب عن الحديث الذي يجيز فعل الصلاة قبل التوبة، وهو قوله:" ليس عبدًا يذنب ذنبًا فيقوم فيتوضأ فيصلي ركعتين ثم يستغفر الله إلا غفر الله له". هذا الكلام لابن حجازي الشافي الأزهري (ت ١٢٢٦هـ) في حاشية الشرقاوي على كتاب تحفة الطلاب بشرح تحرير تنقيح اللباب لأبي يحيى زكريا الأنصاري، طبعة دار الكتب العلمية – بيروت، ج١، ص٣٤٧.

(٦٢) تناول الشيخ في هذا الموضع موقع صلاة التوبة من حيث علاقتها بالاستغفار والتوبة، مستعرضًا آراء الفقهاء في ذلك. فقد ذهب بعض العلماء إلى أن صلاة التوبة تُؤدَّى قبل الاستغفار، وذلك لأن الصلاة تمثل تعبيرًا عن خشوع العبد واستحضارًا لحالة التقوى والوعي الروحي، كما أنها وسيلة لقبول التوبة، فالركعتان تمثلان تهيئة روحية تُهيئ القلب لقبول التوبة الصادقة. واستدلوا على هذا الترتيب بظاهر الحديث الشريف الذي يقول: «ما من عبد يذنب ذنبًا فيقوم فيتوضأ ثم يصلي ركعتين ثم يستغفر الله إلا غُفر له»، حيث ورد ذكر القيام والصلاة ثم الاستغفار، وهو ترتيب يدل على تقدم الصلاة على الاستغفار. وفي المقابل، هناك رأي آخر يرى أن جوهر التوبة يكمن في الاستغفار، فتكون الصلاة بعده نوعًا من الشكر على قبول التوبة، وهذا الرأي يحتمل تأخير الاستغفار لما بعد أداء الصلاة، باعتبارها تعبيرًا عن امتنان العبد لرحمة الله وفضله. ورأي ثالث يجمع بين الأمرين، فيذهب إلى أن صلاة التوبة قد تكون قبل الاستغفار وبعده، بحيث تحيط بالتوبة من الجانبين تأكيدًا لأهميتها ومكانتها الروحية. وعلى أي حال، فإن التوبة تُقبل سواء كانت من الذنوب الكبيرة أو الصغيرة، ولا يشترط في قبولها عظمة الذنب أو صغره، وهو ما أكده العلماء تأكيدًا واضحًا، مما يدل على سعة رحمة الله سبحانه وتعالى وتيسير التوبة على عباده.

(٦٣) المكتوب العاشر في المخطوطتين (أ) و(ب) يتناول إجابة الشيخ محمد – رحمه الله تعالى – على مجموعة من الأسئلة المتعلقة بأدب الطريقة. من أبرز ما عالج فيه مشكلة الغفلة التي يعاني منها كثير من المريدين، وسبل دفعها وتجاوزها، إلى جانب توضيحه لوظيفة الإمام في الختمة النقشبندية، وغيرها من المسائل المهمة التي تهم طريق السلوك.

(٦٤) للخليفة عند أهل العرفان أربعة مقامات: الأول مقام خلافة النبوة، والثاني مقام خلافة الرسالة، والثالث مقام خلافة أولي العزم، والرابع مقام خلافة أولي الاصطفاء. يُنسب مقام خلافة النبوة إلى العلماء، ومقام خلافة الرسالة إلى الأبدال، ومقام خلافة أولي العزم إلى الأوتاد، أما مقام خلافة أولي الاصطفاء فخاص بالأقطاب. ومن جملة الأولياء من يتبوأ في العالم مقام الأنبياء، ومنهم من يمثل مقام الرسل، ومنهم من يقوم مقام أولي العزم، ومنهم من يحتل مقام أولي الاصطفاء. الدكتور رفيق الحجم، موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٩، ص٣٢٥.

(٦٥) يصف الله تعالى حال أهل الجنة في قوله:﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ الأعراف: ٤٣. وهذا الجزء الكريم من الآية يُظهر كمال النعمة على أهل الجنة، إذ طهّر الله قلوبهم من كل حقدٍ أو ضغينة، وجعلهم إخوانًا على سرر متقابلين، يتفجّر تحتهم النعيم. ثم يفيض لسان حالهم بالحمد والثناء على الله الذي هداهم، مقرّين بأن الهداية فضل من الله لا ينال إلا بتوفيقه، ومصدّقين بما جاءت به الرسل من الحق. ويُختم المشهد بالنداء الإلهي المبشّر:﴿تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، فيجمع لهم بين فضل الله وعدله.

(٦٦)() ورد في المخطوطة (ب) لفظ: (فانزلن)، وهو مخالف لوجوه الصواب، إذ لا يستقيم في السياق إلا على أحد وجهين صحيحين، إما:(فأنزل) بصيغة الماضي المفرد، أو:(أنزلن) على وجه الأمر لجمع المؤنث، بحسب ما يقتضيه السياق اللغوي والنحوي. وعليه، فاللفظ المثبت في المخطوطة بحاجة إلى مراجعة وتصويب.

(٦٧) ورد في جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر حديث النبي ﷺ: «أصحابي كالنجوم، بأيهم اقتديتم اهتديتم»، رواه من طريق سلام بن سليم، عن الحارث بن غصين، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر رضي الله عنه. وقد جاء هذا الحديث من عدّة طرق، إلا أن جميع أسانيده لا تخلو من ضعف، كما نصّ أهل العلم. قال ابن عبد البر: "إسناده ضعيف"، والحديث مذكور في جامع بيان العلم (٥٢٩/٢) برقم (١٧٦٠).

(٦٩) أصل الكلمة من الجذر "غاق"، وهو يفيد معنى البصر والحيرة. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٠، ص٢٩٦.

(٧٠) المحبة في اللغة تعني المودّة، ويقال: تحبّب إليه أي تودّد. ينظر: زين الدين الرازي، مختار الصحاح، ص٦٥. وأما في الاصطلاح، فقد عرّفها القاضي بقوله:المحبة: ميل النفس إلى الشيء لكمالٍ أُدرِك فيه، بحيث تحبّ ما يقرّبه إليها. ينظر: الحسين بن عبد الله الطيبي، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة الأولى.

([٧١]) الرابطة، في اصطلاح أهل الطريقة، هي استمداد المريد من روحانية شيخه الكامل، الفاني في الله تعالى، وذلك من خلال دوام استحضار صورته وملازمة معانيه، ليتأدب بأخلاقه، ويقتبس من أنواره في حال الغيبة كما في حال الحضور. وتُعد وسيلة لتحصيل الحضور القلبي، والأنس الروحي، والزجر عن سفاسف الأمور. كما تُعرَّف أيضًا بأنها: حفظ السالك لصورة شيخه في مداركه أو في قلبه، أو تمثّل تلك الصورة في ذهنه على أنها صورة شيخه، حتى إذا استحكمت الرابطة في نفسه غلب عليه الشعور بوجود الشيخ في كل شيء، وهو ما يُعبّر عنه عندهم بـ"الفناء في الشيخ". وقد أشار الدكتور رفيق العجم إلى هذه المعاني في موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، ص٢٧٦، مؤكدًا أن للرابطة أصلًا في الكتاب والسنة وأقوال العلماء، وإن كان ذلك محل تأويل وتفصيل في تقريره عند المذاهب والمدارس المختلفة.

(١) قال الله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ التوبة: ١١٩. وقد وقف العلماء على هذه الآية وقفة تدبر وتأمل، فأبرزوا أبعادها التربوية والسلوكية. ومنهم الإمام العارف بالله عبيد الله الأحرار السمرقندي، الذي بيّن في تفسيره أن الكينونة مع الصادقين تشمل المعية الصورية والمعنوية، وفسر الكينونة المعنوية بـ"الرابطة والحضور"، وهي من المعاني المعروفة عند أهل السلوك والتربية الروحية. وقد أيّد هذا المعنى الإمام الشريف الجرجاني الحنفي، في خاتمة شرح المواقف، ومطلع حواشيه على شرح المطالع، حيث قرر صحة ظهور صور الأولياء للمريدين، وانتفاعهم بها، حتى بعد وفاتهم. ووافقه في ذلك الإمام فخر الدين الرازي في المطالب العالية، إذ قرر أن النفوس المفارقة للأبدان أقوى – من بعض الوجوه – من النفوس المتعلقة بها، وأن الانتفاع بها متحقق، لا سيما إذا كانت النفوس أولياء لله تعالى. وقد نبّه الرازي إلى أن هذا الانتفاع وإن كان في أصله ثابتًا للنبي ﷺ، إلا أنه لا يُنكر جوازه تبعًا للأولياء والمشايخ الكاملين، فهم ورثة النبوة، ونوابها، وأتباعها، وقد أمر الشرع بمودتهم وتوقيرهم، فكما صحت الصلاة عليهم تبعًا للنبي ﷺ، صحت الرابطة معهم تبعًا له. وأشار الإمام الرباني أحمد السرهندي إلى أن حصول الرابطة بين المريد وشيخه بلا تكلف ولا تكلّف هو علامة على وجود مناسبة روحية تامة بين الطرفين، وهي شرط أساس في تحقق الإفادة والاستفادة، بل صرّح أن لا طريق أقرب منها لنيل الفيض التربوي. وقد قال الشيخ عبيد الله الأحرار في كتابه الفقرات: "إن ظلّ الدليل أولى من ذكر الحق تعالى" من جهة النفع، أي أن المريد في بدايات سلوكه يكون أنفع له أن يلازم صورة شيخه ودليله، لأنه لم تتحقق بعد مناسبة تامة بينه وبين الحق جل جلاله، فلا ينتفع من الذكر الكامل كما ينتفع من الرابطة. فالسلام أولًا وآخرًا على من فاز بهذه الدولة، ونِعْم السعادة لمن استسعد بها. انظر: يوسف أفندي شوقي الطربزوني الأوفي، هدية الذاكرين وحجة السالكين، ص١٢. والإمام الرباني أحمد زين العابدين السرهندي، الدرر المكنونات النفيسة في تعريب المكتوبات الشريفة، تعريب محمد مراد بن عبد الله القزاني، مكتبة النيل، القاهرة، ص٢٧٩.

([٧٢]) أشار الإمام ابن القيم الجوزية – رحمه الله – إلى أن القلب يصدأ كما يصدأ الحديد والنحاس والفضة، وأن هذا الصدأ سببه أمران: الغفلة والذنب. ولا سبيل إلى إزالة هذا الصدأ إلا بالاستغفار والذكر، فهما دواء القلب ومرآته الجالية. فالقلب، كلما ابتعد عن الذكر واستغرق في الغفلة، تراكم عليه الصدأ، حتى يَحول بينه وبين صفاء الإدراك، فلا تعود الحقائق تنطبع فيه كما هي، بل يرى الباطل حقًّا، والحق باطلًا. وإذا اشتد هذا الصدأ واسودّ القلب بران الغفلة والمعصية، تعطّل تصوره وفسد إدراكه، فلا يُقبل على الحق، ولا ينفر من الباطل. وهذه من أشد عقوبات القلب وأخطرها أثرًا على الإيمان والبصيرة. وأصل هذه الآفة – كما قرر ابن القيم – راجع إلى أمرين عظيمين: الغفلة عن ذكر الله، واتباع الهوى، فإنهما يُعميان البصيرة، ويطفئان نور القلب، ويقطعان الصلة بين العبد وربه. وقد عبّر القرآن الكريم عن هذا المعنى ببلاغة معجزة، فقال تعالى:﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ الكهف: ٢٨. انظر: ابن قيم الجوزية، الوابل الصيب من الكلم الطيب، ط٣، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٩م، ص٤١.

([٧٣]) هذا الخَتْم له أصل راسخ في الكتاب العزيز، والسُّنَّة النبويَّة الشريفة، وهو مما تواتر العمل به عن السلف الصالح.

([٧٤]) تتضمن هذه الإشارة حديث تسبيح الحصى في يد النبي ﷺ، وهو مروي في عدة مصادر من بينها: معجم الطبراني الأوسط (عن أبي ذر الغفاري، باب من اسمه أحمد، رقم ١٢٤٤ / ٢ / ٥٩)، والبيهقي في السنن الصغير، والخلّال في السنّة، وابن أبي عاصم في السنة، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول. عن أبي ذر الغفاري قال:" كنتُ شاهدًا عند النبي ﷺ في حلقة، وكان في يده حصى تسبح، وسمع تسبيحها من في الحلقة، فدفعها النبي إلى أبي بكر فسبحت في يده، ثم أعادها إلى النبي فسبحت في يده، ثم دفعها إلى عمر فسبحت في يده، ثم إلى عثمان فسبحت في يده، وعندما أعادها إلينا لم تسبح مع أحد منا". وقد علّق الهيثمي في «مجمع الزوائد» بأن الحديث رواه الطبراني في الأوسط، مع وجود محمد بن أبي حميد وهو ضعيف، ولكنه ذكر طريقًا أحسن في «علامات النبوة» بإسناد صحيح. ورواه البزار بإسنادين، رجّح أحدهما لضعف بعض رجاله، مع ضعف الحديث عند النسائي والعراقي. وأفاد ابن حجر في «الفتح» أن هذه الرواية مشهورة بين الناس، لكنها من حيث السند

ليست على درجة واحدة من القوة، فمثلاً حادثتا حنين الجذع وانشقاق القمر نقلتا نقلاً مستفيضًا يُقطع به، أما حديث تسبيح الحصى فلا يوجد له إلا هذا الطريق الوحيد مع ضعفه. كما أنه لا يوجد لنا إسناد قوي أو ضعيف لحديث تسليم الغزالة. والله أعلم.

(٧٥) ورد عن النبي ﷺ قوله:«إني لأستغفر الله وأتوب إليه في كل يوم مائة مرة». وقد أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة – بإسناد حسن – في باب حديث أبي رمثة رضي الله عنه (١)، برقم ٧١٠٤ (٦٧٣/١١). كما أخرجه الإمام أبو داود في سننه عن الأغر المزني، بإسناد صحيح، في باب الاستغفار، برقم ١٥١٥ (٨٤/٢).

(٧٦) إشارة إلى سورة الشرح.

(٧٧) يعني يقرؤون سورة الاخلاص.

(٧٨) أشار الشيخ الإمام السيد محمد النازلي رحمه الله في بحثه عن خصائص الختم، تحت باب خواص ختم الخوجكان، إلى اتفاق المشايخ، من الإمام جعفر الصادق، وأبي زيد البسطامي، وأبي حسن الخرقاني، وغيرهم إلى شاه النقشبندية ومنافع ذكر سلسلتهم، في أن الغاية المنشودة وقضاء الحاجات تُستمد من خلال هذه الفائدة الجليلة والأسرار الغيبية. وقد استُعملت هذه الخواص الروحية في أذكار محددة، منها: الاستغفار مائة مرة، وقراءة سورة الفاتحة سبع مرات، والصلاة على النبي ﷺ مائة مرة، وقراءة سورة الشَّرْح تسع وسبعين مرة، ثم قراءة سورة الإخلاص مئة وواحد مرة، متبوعة بالفاتحة سبع مرات، وعند إتمام ذلك يصلى على النبي ﷺ مائة مرة، ثم يُسأل الله تعالى الحاجات المرادة. انظر: سيد محمد حقي النازلي، حزينة الأسرار جليلة الأذكار، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٨٨هـ.

(٧٩) الأستاذ هو مرادف لكلمة الشيخ، كما ورد في كتاب كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (للتنهوي، ج١، ص١٠٤٩). وقد سبق بيان تخريج معنى الشيخ في الصفحة ...، موضحًا دلالته الاصطلاحية وعلاقته بمنصب التعليم والتوجيه العلمي.

(٨٠) القطب، ويسمى أحيانًا الغوث لكونه الملجأ الذي يلجأ إليه الملهوف، هو الفرد الواحد الذي هو مركز نظر الله في كل زمان، ممن مُنح الطلسم الأعظم من لدنه. وهو يسري في الكون، ظاهره وباطنه، كما يسري الروح في الجسد. بيده ميزان الفيض الأعمّ، حيث إنّ وزنه يتبع علمه، وعلمه يتبع علم الحق، وعلم الحق يتبع الماهيات غير المجعولة. يفيض القطب روح الحياة على الكون الأعلى والأسفل، وهو متصل بقلب إسرافيل من حيث حصته الملكية الحاملة لمادة الحياة والإحساس، لا من حيث إنسانيته. أما حكم جبريل فيه فهو كحكم النفس الناطقة في النشأة الإنسانية، وحكم ميكائيل كحكم القوة الجاذبة، وحكم عزرائيل كحكم القوة الدافعة. انظر: الشريف الجرجاني، التعريفات، ص١٧٨.

(٨١) يشير الحديث الشريف، كما رواه الإمام البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه، إلى قوله ﷺ:«لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين». (كتاب الإيمان، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان، رقم ١٥/ج١/ص١٤). وكذلك رواه الإمام أحمد رحمه الله عن زهرة بن معبد، عن جده، قال: كنا مع النبي ﷺ وهو يأخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال:«والله لأنت يا رسول الله أحب إلي من كل شيء إلا نفسي». فقال النبي ﷺ:«لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه». فقال عمر: «فلأنت الآن والله أحب إلي من نفسي». فقال النبي ﷺ: «الآن يا عمر». باب حديث عبد الله بن هشام جد زهرة بن معبد، رقم ١٨٠٤٧. وقد أقر شعيب الأرنؤوط صحة الحديث، وبيّن الإمام الهيثمي رحمه الله في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد أن محبة الشيخ تُعد سببًا في محبة رسول الله ﷺ، ومنها إلى محبة الله تعالى، والتي بدورها تُفضي إلى التطبيق العملي للشريعة. فإذا تحققت المحبة للشيخ، وكان متصلاً بسيدنا المصطفى صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم بسند صحيح، ترك المريد مراده لمراد شيخه، ومراده هو أمر الله ورسوله، وبذلك تسهل محبة الشيخ على السالك تطبيق الشريعة الإسلامية بأكمل صورها. ويتحقق الفناء بالشيخ عبر اتباعه، بحيث يتخلق السالك بأخلاقه، ويتحلى بأحواله، ويعمل بتوجيهاته، ويلتزم إرشاداته وفق الآداب المقررة. ولعل من دلالة هذا المعنى قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:«لقد أحببت عمر حتى خشيت الله ووددت أن أكون خادمه حتى أموت». انظر: الإمام الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤ هـ/١٩٩٤م، رقم ١٤٣٦٩، ج٩، ص٧٨).

(٨٢) أشار الشيخ عبد القادر عيسى رحمه الله إلى هذا المعنى في بيانه لآداب المريد مع الشيخ، حيث أكد أن استسلام المريد لشيخه ليس من باب الانقياد الأعمى، بل هو أشبه ما يكون باستسلام المريض لطبيبه، إذ يخضع له في العلاج والتوجيه عن ثقة وعقل لا عن ذوبان وتبعية عمياء. وقد بيّن أن من جملة الآداب الباطنة: الاستسلام لشيخ التربية وطاعته في أوامره ونصائحه، لا بوصفه تسليماً يلغي العقل أو يُبطل الشخصية، وإنما باعتباره تسليماً لذي اختصاص وخبرة، مؤسَّس على يقينٍ قلبيٍّ وفكريّ، يقوم على التصديق الراسخ بأهليته، وإذنه، وحكمته، ورحمته، وكونه جامعاً بين الشريعة والحقيقة. ومثل هذا الاستسلام هو عين العقل والإنصاف، كما يستسلم المريض الواعي لطبيبه المختص، دون

أن يُعدّ متنازلاً عن عقله أو كرامته، بل يُعدّ صادقًا في إرادة الشفاء، مراعياً مقتضى الحكمة. انظر: عبد القادر عيسى، حقائق التصوف، منشورات دار العرفان، حلب – سورية، الطبعة السادسة عشرة، ص٨٤.

(٨٣) المقصود من قراءة "السلسلة الختمة": هي تلاوةٌ جماعية منظّمة تهدف إلى نيل بركة الذكر والربط الروحي بسند الطريقة، واستمداد الفيوضات النورانية من حضرة النبي ﷺ عبر سلسلة السند المتصل. فليست مجرد تلاوة ألفاظ، بل مقصودة لذاتها تربيةً وسلوكًا، وتزكيةً للنفس، واستحضارًا لمعاني الصحبة والولاية والاتباع، تحقيقًا للصلة بأهل الله الراسخين، وتجديدًا للعهد على السلوك والصدق والثبات.

(٨٤) المقصود به مولانا خالد النقشبندي الشهرزوري.

(٨٥) نظّم العارف بالله مولانا خالد البغدادي ترتيب "الختمة الكبرى" في أبيات منظومة، ضمنها مراحل هذا الورد المبارك، ومقاصده الروحية، فقال رحمه الله:

إذا ما دمتَ ختمَ الخواجكاني	فسبقًا اقرأْ السبعَ المثاني
وصلِّ عقبه مئةً وثمانِ	على الهادي الحبيبِ بلا توانِ
وكرّرْ في (ألم نشرح) بصدقٍ	بعدد "طاءٍ" مع "عين" العيانِ
وقلْ في سورةِ الإخلاص ألفًا	وزِدْه واحدًا عند البيانِ
وعُدْ للأولين بصدق عزمٍ	كما ذكَروا تنلْ كل الأمانِ
وسَلْ ما شئتَ من خيرٍ تجدْهُ	وتُعطَ ما تروم مع التهاني
وبانَتْ أحجارُ الرما يبقى الآن	إلى أنْ يرى بعضٌ بعضًا
دمتم بالسلامة والسعادة الأبدية	بجاه خير البرية
عليه وعلى آله وصحبه	أفضل الصلاة وأزكى التحية

هذه الأبيات تُعدُّ دستورًا عمليًّا في الطريقة النقشبندية، لختمة سلوكية كبرى تجمع بين الذكر، والتلاوة، والصلاة على النبي ﷺ، وتمثّل مسارًا روحانيًّا يربط السالك بسلسلة المشايخ. قوله: "ختم الخواجكاني" يشير إلى الطريقة المعروفة عن خواجگان، وهم أئمة السلسلة النقشبندية من أمثال الخواجة عبد الخالق الغجدواني والخواجة بهاء الدين نقشبند. والختمة المشار إليها هي ورد جماعي أو فردي يتضمن تلاوة سور معينة، وأذكارًا مخصوصة، تُقصد بها التربية والتزكية والتواصل مع السند الروحي. الصلاة على النبي ﷺ مئة وثمان مرات: رقم له دلالات سلوكية وروحية، تُقصد به المبالغة في التعلق بالجناب النبوي واستمداد الفيوض منه. قوله:"عدد طاء مع عين العيان": في علم الجُمَّل الأبجدي، الطاء تساوي (٩) والعين تساوي (٧٠)، فيكون مجموع العدد ٧٩، وهو عدد تكرار سورة "ألم نشرح" في هذا السياق. ألف مرة من سورة الإخلاص: وهي من أعظم سور القرآن في التوحيد، وقراءتها على هذا الوجه مقصود بها الاستغراق في معاني الإخلاص والربط بالأسماء والصفات. قوله:"وعُدْ للأولين" يشير إلى الرجوع إلى ما أثبته مشايخ الطريق الأوائل من أذكار وأوراد وأسرار، وذلك بصدق وعزم في السلوك. البيت الأخير "بانت أحجار الرما..." قد يكون إشارة إلى قرب انكشاف الغايات الروحية وتحقيق شهود القلب، فكأنّ الحُجُب بدأت ترتفع، ويبقى تمام الكشف مترقبًا عند وصول العارفين. فهذا النظم من مولانا خالد يُعدّ خارطة طريق في التزكية، يجمع بين الترتيب العملي، والإشارة الروحية، والمقصد المقاصدي، فليس المراد مجرد التلاوة، بل هو سلوك إلى الله تعالى، بإذن وتربية وسند.

(٨٦) هذا هو المكتوب الخامس والعشرون في المخطوطتين (أ) و(ب).

(٨٧) العِترة في أصل معناها: وَلَدُ الرجل من صُلبه، وقد يُطلق اللفظ توسعًا على الأقارب، لا سيّما بني العمومة، كما بيّنه الإمام الخطابي وغيره من أهل اللغة. وقد ورد هذا المصطلح في حديث النبي ﷺ الذي رواه زيد بن أرقم رضي الله عنه، وفيه قال النبي ﷺ:" إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله، حبلٌ ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما". رواه الترمذي في باب مناقب أهل بيت النبي ﷺ، وقال: حديث صحيح، رقم (٤١٢٠)، ج٦/ص٣٣٥. وهذا الحديث يدل على عِظم شأن أهل بيت النبي ﷺ، ووجوب توقيرهم ومحبّتهم، كما يشير إلى الاقتران الوثيق بين التمسك بالوحي (القرآن الكريم) والارتباط بأهل البيت، فهم موضع القدوة والاهتداء، ما داموا متمسكين بالوحي، كما أنهم أحد أركان التوازن الديني الذي أرشد إليه الرسول ﷺ قبل

وفاته. يتبين من الحديث أن العترة ليست مجرد رابطة نسبية، بل هي رابطة دينية وروحية مقرونة بالهداية؛ إذ جاء ذكرهم مقترنًا بكتاب الله الذي لا يأتيه الباطل. وهذا يدل على أن المراد بهم: أهل البيت الصالحون العالمون بدين الله، لا مجرد القرابة النسبية الخالية من الاتباع. وقد اعتبر النبي ﷺ هذا الثقل (القرآن والعترة) ضمانًا للهداية من الضلال، ما دام التمسك بهما قائمًا.

(٨٨) كلمة البال مشتقة من "بول"، وقد ورد لها في اللغة عدة معانٍ، منها: خطر القلب: يُقال "خطر فلان ببالي"، أي ورد على قلبي وذهني. ورخاء النفس وطمأنينتها: كقولهم "فلانٌ رخيّ البال"، أي مرتاح النفس خالي الهمّ. والحال والشأن: فيقال "ما بالك؟"، أي ما حالك وما شأنك؟ وقد أورد هذه المعاني الإمام زين الدين الرازي في مختار الصحاح (ص: ٤٢). وهذه الاستعمالات تدل على سعة دلالة "البال" في اللغة العربية، إذ تجمع بين المعنى النفسي والذهني والحالي، مما يعكس عمق المفردة في التعبير عن أحوال الإنسان الداخلية والظاهرة.

(٨٩) الإقبال مصدر من باب "أفعل"، وهو ضد الإدبار، ويُستخدم للدلالة على التوجّه والانصراف إلى الشيء. يُقال: أقبل مقبِلًا، كما في قوله تعالى:﴿وَأَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ الإسراء: ٨٠، أي توجّه إليّ بإخلاص. ومن اشتقاقاته: أقبل عليه بوجهه: أي توجّه نحوه باهتمام وانتباه. المقابلة: وتعني المواجهة وجهًا لوجه. التقابل: كالمقابلة، لكنه يُفيد التبادلية أو التلاقي من الطرفين. الاستقبال: وهو ضد الاستدبار، أي الإقبال على الشيء دون الإعراض عنه. وقد ذكر هذه المعاني الإمام زين الدين الرازي في مختار الصحاح (ص: ٢٤٦).

(٩٠) لفظ العرض يأتي على وجوه متعددة تختلف باختلاف ضبط أوله: بالكسر (الإعْراض): يُفيد معنى الصدّ والانصراف، ويُقال:" أعرض عن الشيء"، أي انصرف عنه ولم يُقبل عليه. وقد ورد هذا المعنى في مختار الصحاح للإمام زين الدين الرازي (ص: ٢٠٥)، حيث بيّن أن الإعراض يدل على الترك والابتعاد، وهو ضد الإقبال. ويُظهر هذا الاستخدام ثراء العربية في التمييز بين المعاني الدقيقة بمجرد تغيير حركة الحرف الأول، مما يعكس عمق النظام الاشتقاقي فيها.

(٩١) جاء في قوله تعالى:﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَافِلِينَ﴾ الأعراف: ٢٠٥، تحذير إلهي واضح من الوقوع في الغفلة، لما فيها من انصراف القلب عن ذكر الله والتوجه إليه. وقد جاء المعنى نفسه في الحديث النبوي الشريف، الذي رواه الإمام أحمد بسند صحيح عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال:" القلوب أوعية، وبعضها أوعى من بعض، فإذا سألتم الله عز وجل، أيها الناس، فاسألوه وأنتم موقنون بالإجابة، فإن الله لا يستجيب لعبدٍ دعاه عن ظهر قلبٍ غافلٍ". مسند أحمد، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص، رقم ٦٦٥٤، ج٦، ص٢١٣.

(٩٢) تفق جميع العلماء بان الشيخ السرهندي بدء بتجديد الإيمان في شبه القارة الهندية والدفاع عن الدين ونصرته، الذي عُرف به الإمام واشتهر اشتها را عظيما، حتى غلب عليه لقب مجدد الألف الثاني – وظل ينوب عن اسمه، و لا نجد له مثالا من قبل. و قام باحياء الدين بالسنة وقمع البدعة والظلم ونشر المعارف المحمدية على صاحبها أفضل الصلوات والتسليمات والنقطة المركزية، والمحور الأساسي ان الإمام يستحق وصفه بمجدد الألف الثاني، لأنه رفع راية الإسلام في الهند وأن عمله التجديدي تفضيل الشريعة على الطريقة وحفظ الإسلام من الارتماد في حسن البرهمية وفلسفة وحدة الأديان، ووجهها إلى لواء محمد صلى الله عليه اصل عمله التجديدية الذي يدور سائر اعماله حوله ونقطة تجديد الإمام هو إعادة الثقة والإيمان إلى قلوب جميع أبناء الأمة بخلود الرسالة المحمدية حتى يرث الله الارض من عباده الصالحين وجعل الحكم الله حتى لا تكون فتنه ويكون الدين كله الله كما قال السيد ابو الحسن على الندوي. ينظر: رجال الفكر والدعوة في الاسلام للامام ابو الحسنى علي الحسينى دار ابن كثير للطباعة والنشر دمشق –بيروت الندوى/ج٣/ص١٩١.

(٩٣) لا أعرف مقصود الشيخ بكلمة (عهدته).

(٩٤) البركة في اللغة تعني النماء والزيادة، وأصلها من الثبات والإقامة؛ ومن ذلك البركة بمعنى الحوض، سُمّيت به لاجتماع الماء وثباته فيها. وكل ما ثبت واستقر فقد "برك". انظر: مختار الصحاح للإمام زين الدين الرازي، ص: ٣٣. أما في اصطلاح العلماء، فإن البركة هي: ثبوت الخير الإلهي في الشيء، كما عرّفها الراغب الأصفهاني في المفردات في غريب القرآن (ص: ١١٩، دار القلم – دمشق، ط١، ١٤١٢هـ). فهي أثر من آثار الفضل الرباني، يفيض على الأشياء فيمنحها نماءً في ظاهرها أو نفعًا في باطنها. إن وجود البركة ثابت في الشرع بدلالة الكتاب والسنة، وسيأتي بيان دليلها من القرآن الكريم أولًا، يتلوه ما ورد في السنة النبوية.

(١) قال الله تعالى:﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ الإسراء: ١. في هذه الآية الكريمة إشارة صريحة إلى إثبات البركة من الله تعالى في الأماكن والأشياء، ومن ذلك ما خصّ به المسجد الأقصى وما حوله من بركة. وقد فسر الإمام الطبري قوله تعالى: ﴿الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ بقوله:"يعني: الذي جعلنا حوله البركة، لسكانه في معايشهم وأقواتهم، وحروثهم وغروسهم". انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للإمام الطبري، توزيع: دار التربية والتراث – مكة المكرمة، ج١٧، ص٣٥١.

(٢) قال الله تعالى:﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ الدخان: ٣. وقد فسّر الإمام البيضاوي هذه الآية بقوله: إن المقصود أن الله تعالى أنزل القرآن على النبي ﷺ منجّمًا (مُفرّقًا على فترات)، وأن بركة هذه الليلة مستفادة من هذا الإنزال؛ لأن نزول القرآن سبب عظيم للمنافع الدينية والدنيوية، لما يترتب عليه من هداية، وتشريع، وإقامة للحق، كما أنها مباركة لما يقع فيها من نزول الملائكة، وحلول الرحمة، واستجابة الدعاء، وتوزيع الأرزاق، وتقدير الأقضية. انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للإمام البيضاوي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ١٤١٨هـ، ج٥، ص٩٩.

(٣) قال تعالى على لسان عيسى عليه السلام:﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ مريم: ٣١. وقد تناول الإمام شهاب الدين الألوسي هذا المعنى في تفسيره روح المعاني، مبينًا أن المراد بجعله "مباركًا" هو كونه نفاعًا، مفيضًا للخير، معلمًا له، آمِرًا بالمعروف ناهِيًا عن المنكر، قاضيًا لحوائج الناس. فقد نقل عن مجاهد تفسير "مباركًا" بـ"نفاعًا"، ومثّل لذلك بإبرائه الأكمه والأبرص، كما ذكر عن سفيان الثوري أنه فسرها بـ"معلم الخير"، وعن الضحاك بـ"قاضي الحوائج". وهذا التأويل يُجسّد أثر البركة في الشخصية النبوية من حيث نفعها للناس علمًا وعملاً، ويُظهر أن البركة ليست مجرد صفة لازمة، بل فاعلة متعدية. انظر: روح المعاني، ج ٨، ص ٣٩٢–٤٠٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.١، ١٤١٥هـ. وفي السنة النبوية روت أم عطية الأنصارية رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ دخل عليهن عند وفاة ابنته فقال:" اغسلنها ثلاثًا أو خمسًا، أو أكثر من ذلك إن رأيتن، بماء وسدر، واجعلن في الآخرة كافورًا، فإذا فرغتن فآذنني". قالت: فلما فرغنا آذناه، فأعطانا إزاره وقال:"أشعرنها إياه"، أي اجعلنه مما يلي جسدها. وقد علّق الحافظ ابن حجر بقوله:" قيل إن الحكمة في تأخير إعطائه الإزار إلى ما بعد الغسل، هي ليكون الإزار قريب العهد بجسده الشريف، فينال جسدها منه البركة بلا فاصل، وهو أصل في التبرك بآثار الصالحين". فتح الباري، ج ٣، ص ١٣٠، المكتبة السلفية، مصر، ط. السلفية الأولى، ١٣٨٠–١٣٩٠هـ، رقم الحديث (١٢٥٣). وقد تبرك الصحابة بشعره الشريف ﷺ كما روى الإمام مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:" لقد رأيت رسول الله ﷺ والحلاق يحلقه، وأطاف به أصحابه، فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل". وقد علّق الشيخ عبد العزيز الراجحي على هذا الحديث بقوله:" فيه دلالة واضحة على ما جعل الله في جسد النبي ﷺ وآثاره من البركة، فقد كان الصحابة يحرصون على اقتناء شعره، والتبرك بيده الشريفة، والماء الذي يغمسها فيه". انظر: صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب قرب النبي ﷺ من الناس وتبركهم به، رقم الحديث (٢٣٢٤). وتوفيق الرب المنعم بشرح صحيح الإمام مسلم، ج ٦، ص ٥١٣، مركز عبد العزيز الراجحي، ط.١، ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م.

([٩٥]) نقل الإمام الرباني أحمد الفاروقي السرهندي رحمه الله تعالى في الدرر المكنونات النفيسة ما ملخصه:" إذا رأى المريد نفسه مقصرًا في رعاية بعض الآداب، ولم يبلغ كمال التحقق بها، ولم يستطع الخروج من عهدتها رغم سعيه، فإنه يُرجى له العفو والمسامحة. أما إن أهمل الآداب جملةً، ولم يعترف بتقصيره، بل لم يشعر أصلاً بالحاجة إلى التزامها، فذاك – والعياذ بالله – محروم من بركات الأكابر وأرباب السلوك". وفي هذا التقرير دلالة على أن الاعتراف بالتقصير من لوازم صدق العبودية، ومجرد الإحساس بالعجز لا يفضي إلى الحرمان، ما دام المريد في حال مجاهدةٍ ومحاسبة. أما الغافل عن الآداب، الجاحد لحاله، فهو أجنبي عن طريق السالكين، محجوب عن فيوضاتهم. انظر: الإمام أحمد الفاروقي السرهندي، الدرر المكنونات النفيسة من مغرب المكتوبات الشريفة، الجزء الأول، ص ٥٨٩، ط. مكتبة الحقيقة – شارع دار الشفقة، فاتح ٥٧، إسطنبول، تركيا.

([٩٦]) لأنه يلوم نفسه، ومن لام نفسه فقد نال حظًّا من الكمال، إذ قد أثنى الله تعالى على النفس اللوّامة، وأقسم بها في قوله سبحانه:﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ القيامة: ٢، وهي النفس التي لا تكف عن محاسبة صاحبها، وتقرُّ بتقصيره، فيسعى للإصلاح والتزكية.

([٩٧]) الكبرياء – وهي اسم مؤنث – تدل على العظمة والتجبر، وعلوّ المنزلة، وامتناع الذات عن الانقياد لغيرها، وهي أيضًا من دلالات الملك والسلطان. وقد ورد اللفظ في التنزيل الحكيم في قوله تعالى:﴿وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ﴾ يونس: ٧٨، أي: السُّلطة والتسلُّط. والكبرياء في حقيقتها كمال ذاتيّ مطلق لا يليق إلا بالله سبحانه، فهي وصف مختص به، يدل على عظمة لا يعتريها نقص، ووجود لا يلحقه زوال، وهو من معاني الجلال والكمال الإلهي الذي لا يُشاركه فيه أحد. ينظر: المعجم الوسيط، نخبة من اللغويين، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط. الثانية، ج٢، ص٧٧٣.

([٩٨]) "نييز" أو "نياز" هو لقب شائع في اللغات السلافية يُطلق على من يتبوّأ منصبًا ملكيًّا أو طبقة من طبقات النبلاء. ويُترجم هذا اللقب في اللغة الإنجليزية غالبًا إلى "prince" (أمير)، وأحيانًا أقل إلى "duke" (دوق)، تبعًا لسياق الاستعمال التاريخي والسياسي في البلدان السلافية. ويُعد هذا المصطلح جزءًا من البنية الاجتماعية والسياسية التي عُرفت في كيانات سلافية تاريخية مثل كييف روس، والإمبراطورية الروسية، وممالك أوروبا الشرقية. انظر: ويكيبيديا العربية – موسوعة رقمية حرة مفتوحة المصدر، يُسهم في تحريرها المستخدمون من مختلف أنحاء العالم. تضم حتى الآن أكثر من ١,٢٦٠,٠٠٠ مقالة باللغة العربية.

([٩٩]) وقد أشار الله تعالى في وصف عباده الصالحين إلى سمو حالهم في التعامل مع الذنوب والتقصير، فقال عز من قائل:﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ آل عمران: ١٣٥. وفي هذه الآية الكريمة بيان لمقام التوبة الصادقة، وعلامة من علامات أهل الإيمان والصدق في السلوك، فهم وإن وقع منهم تقصير أو خطأ، فإنهم لا يتمادون فيه، بل يبادرون إلى ذكر الله واستغفاره، مع يقينٍ بأن الله وحده هو غافر الذنب، رحيم بالعباد، فيقلعون عن المعصية دون إصرار، وذلك من كمال المعرفة بالله وخشية مقامه. والآية تتضمن قواعد سلوكية رفيعة، منها: الإقرار بالذنب علامة صدق. المبادرة إلى الاستغفار من شأن الصالحين. ترك الإصرار دليل حياة القلب. علمهم بالله موجب لخوفهم وعودتهم إليه.

([١٠٠])الشيخ العارف بالله، خاوند محمود بن سيد شريف بن ضياء الدين بن خواجه مير بن تاج الدين بن خواجه علاء الدين العطار النقشبندي البخاري، ثم الكشميري، من كبار مشايخ الطريقة النقشبندية، وأحد أعلامها في القرن الحادي عشر الهجري. أخذ الطريق عن خواجه إسحاق السُفَيْدَكِي، وسار على نهج السلسلة النقشبندية بثبات وإخلاص، حتى بلغ مقام التربية والإرشاد. دخل الهند، واستوطن كشمير، وتردد إلى لاهور ودهلي وأكرا غير مرة، فاستقبله الملوك والأمراء وأكرموه إكرامًا بالغًا، كما بايعه ألوف الناس على السلوك والتهذيب. كان له أثر بالغ في نشر الطريقة في شبه القارة الهندية، وجمع بين العلم والحال، والدعوة والصفاء، حتى صار من أركان السلسلة النقشبندية في تلك البلاد. توفي – رحمه الله – في الثاني عشر من شعبان سنة ١٠٥٢ هـ. انظر: عبد الحي الحسني الطالبي، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ج٥، ص٥٢٦، دار ابن حزم، بيروت، ط.١، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

([١٠١]) الإمام العارف بالله محمد بن محمد الحسيني البخاري، المعروف بـ"شاه نقشبند"، هو أحد الأقطاب العظام في السلسلة النقشبندية، وركنها المتين الذي نُسبت إليه الطريقة. وُلِد سنة ٧١٧هـ / ١٣١٧م في قرية قصر هندوان، القريبة من بخارى في أوزبكستان، والتي سُمّيت لاحقًا بـ"قصر العارفان" نسبةً إلى ما ظهر منها من رجال الله. وقد نُقل أن الشيخ محمد بابا السماسي، شيخ زمانه، بشّر مريديه بظهور هذا العارف الجليل قبل ولادته، فلما وُلد وجاء به جده إليه، أوكله إلى الشيخ الأمير كلال لتربيته وتهذيبه، وهو من أعلام التربية والسلوك في وقته. امتاز شاه نقشبند بالزهد والتقشف، وكان شديد الورع، حريصًا على الكسب الحلال، يزرع الشعير بنفسه ويأكل خبزه، ويلبس جبة من صوف، ويخدم الفقراء والمساكين، يطهو لهم الطعام بيده، ويواسيهم ويجالسهم تواضعًا ورحمة. وقد بلغ مقامًا روحيًا رفيعًا، حتى إنه صرّح بأنه تلقى مدد الطريقة وإشارات السلوك من روحانية الشيخ عبد الخالق الغجدواني، وهو من أعلام السلسلة الذهبية، مما يبيّن اتصال السند الروحي بين الأقطاب، واستمرار الفيض في هذه الطريقة المباركة. انظر: موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي، ج١٥، ص١، إعداد: أبو سعيد المصري، الشاملة. وذيل لب اللباب في تحرير الأنساب، شهاب الدين ابن العجمي، ص٥٢، مركز النعمان للدراسات، اليمن، ط.١، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م.

([١٠٢]) قول الشيخ:"شرعتُ فيه بتقليد" أي: بدأت في تطبيقه والامتثال له على وجه الاتباع والتقليد، أي التزامًا بمنهجه دون ابتداع أو تجاوز، في إشارة إلى التسليم والاقتداء الكامل بشيخ الطريقة ومنهجه. حيث معنى (شرعت): كلمة "شرعت" في السياق اللغوي تعني: بدأت، أقدمت على الفعل، ودخلت فيه مباشرة. وفي الاصطلاح الصوفي هنا، تعني: شرعتُ في العمل بما أمر به الشيخ، وبدأت تطبيق ذلك اتباعًا وتأسّيًا به، متمسكًا بجادته وسلوكه. وفي كتب اللغة: قال ابن منظور في لسان العرب (مادة: شرع): "شَرَعَ في الأمر: بدأ فيه، وأقبل عليه". وتكون خلاصة المعنى الإجمالي: نسأل الله أن يُقدّسنا بنور معرفته وسِرّ قربه، ويروينا من بحار أنواره، وقد بدأتُ – مقلدًا ومتبعًا – في تنفيذ كل ما أمر به الإمام شاه نقشبند، من غير ابتداع ولا اجتهاد شخصي، بل بالتسليم لطريقته ووصاياه".

([١٠٣])الكرامات التي تُنسب إلى الأولياء والصالحين لها أصل شرعي في الكتاب والسنة، ولا يمكن إنكارها، إذ وردت نصوص صريحة تدل على وقوعها وواقعيتها. ومن أمثلتها في القان الكريم قصة أصحاب الكهف، الذين ظلوا نيامًا فترة طويلة دون أن يتغيروا أو يصيبهم أذى، كما بين الله تعالى في قوله:﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ الكهف: ١٨، و﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ الكهف: ٢٥. هذه الحادثة تمثل خارقة طبيعية تُصنف من الكرامات، إذ حفظ الله أولياءه بطول بقائهم في حالة نوم مطوّل دون أذى. وكذا قصة مريم عليها السلام، التي ورد فيها توفير رزقٍ من عند الله في غير وقته المعتاد، إذ قال تعالى:﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيها زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًاۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ آل عمران: ٣٧. ومن السنة النبوية أمثلة كثيرة منها ما ورد في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال:«لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى عليه السلام، ورجُل من بني إسرائيل يُقال له جُريج كان يُصلي» (رواه البخاري، باب ذكر مريم في الكتاب، الرقم ٣٤٣٦، ج٤/ص٣٩٩). هذا الحديث يؤكد وقوع كرامات في حق أولياء الله، منها الكلام في المهد، وهو خروج عن العادة والقدر

الطبيعي. وقد أفاد الإمام أحمد بن عبد الرحمن الساعاتي في شرحه على مسند الإمام أحمد:"ومن فوائد الحديث إثبات كرامة الأولياء، وهو مذهب أهل السنة خلافًا للمعتزلة، ويدل على أن الكرامات قد تكون من الخوارق للعادة على جميع أنواعها" (الفتح الرباني، ج٢٠/ص١٥١). وينظر أيضًا إلى كتاب:"كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري" للإمام محمد الخضر الجكني الشنقيطي، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، (ج٨/ص٢٠٦).

(١٠٤) إن مجالسة الصالحين مظنة لنزول البركة، وسبب في إشراق القلب وصفاء النفس، لما يحملونه من نور الإيمان وصفاء السيرة، وقد ثبت ذلك في السنة النبوية، ففي صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال:«إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير؛ فحامل المسك: إما أن يُحذِيَكَ، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخ الكير: إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحًا خبيثة». صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب مجالسة الصالحين، رقم الحديث: ٢٦٢٨، ج٤/ص٢٠٢٦. فهذا الحديث الشريف يبيّن أن القرب من أهل الصلاح لا يخلو من أثر نافع، إما عطية حسية أو نفحة معنوية، إذ تنعكس بركة صلاحهم على من حولهم، إما نصحًا أو توجيهًا أو حالًا روحانيًا مؤثرًا. وقد يبلغ تأثير هذا الحال في بعض القلوب حدًّا لا تتحمله، فيقع عليها من الهيبة أو الأنوار ما يُغشى به على صاحبها، وهو أمر مشهود في سير كثير من العارفين الذين أثرت فيهم مجالس الصالحين تأثيرًا وجدانيًا عميقًا.

(١٠٥) روى الإمام البخاري في صحيحه عن عامر، قال: سمعت النعمان بن بشير يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول:"ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب". كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، رقم الحديث: ٥١، ج ١، ص ٢٢٦. هذا الحديث الشريف يُعد من الأحاديث الجامعة، التي تُرسي أصلًا عظيمًا في فقه السلوك والأخلاق، بل هو قاعدة محورية في مقاصد الشريعة، إذ يدل على أن صلاح الظاهر تابعٌ لصلاح الباطن، وأن القلب هو مركز التوجيه والتأثير في الإنسان، ومن ثم فإصلاحه إصلاحٌ لكليّة السلوك، وفساده فسادٌ شامل.